بسم الله الرحمن الرحيم

١ - باب الإخلاص وإحضار النية
في جميع الأعمال والأقوال البارزة والخفية

قالَ اللهُ تَعالَى : « وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ »[1] وَقالَ تَعالَى : « لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلاَ دِماؤُها وَلٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »[2] وَقالَ تَعالَى : « قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ »[3] .

(١) البينة / ٥ . الإخلاص : مصدر أخلص ، وهو من عمل القلب الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره ، وهو شرط لقبول الأعمال ، لأن الله لايقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه تعالى . حنفاء : جمع حنيف ، أي مائلين عن الأديان الباطلة إلى دين الإسلام ، يقال : تحنّف إلى الإسلام أي مال إليه . القيمة : نعت لموصوف محذوف ، أي دين الملة المستقيمة ، أو دين الأمة القيمة بالحق ، أي القائمة به .

(٢) الحج / ٣٧ . لن ينال الله لحومها : لن يصل إليه ، وهو تعبير مجازي عن القبول ، وفي الآية رد لما كان يفعله أهل الجاهلية من تلطيخ البيت الحرام بدماء البدن . (٣) آل عمران / ٢٩ .

١ ـ وَعَنْ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّى بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ ٱبْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ٱلْقُرَشِيِّ ٱلْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّمَا ٱلْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوَى . فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ ٱمْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ . رَوَاهُ إِمَامَا ٱلْمُحَدِّثِينَ ، أَبُو عَبْدِاللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهْ ٱلْجُعْفِيُّ ٱلْبُخَارِيُّ ، وَأَبُو ٱلْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ ٱلْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ ٱلْقُشَيْرِيُّ ٱلنَّيْسَابُورِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي كِتَابَيْهِمَا ٱللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ ٱلْكُتُبِ ٱلْمُصَنَّفَةِ .

الحديث رواه البخاري في بدء الوحي . وفي الإيمان (باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرىء ما نوى) وفي العتق وغيرها ، ومسلم في الإمارة (باب قوله ﷺ : إنما الأعمال بالنية) .

لغة الحديث : الحفص : الأسد ، وأبو حفص كنية لعمر بن الخطاب . **إنما** : أداة حصر تفيد تقوية الحكم المذكور بعدها . النيات : جمع نية ، وهي مصدر أو اسم مصدر ، وهي في اللغة : القصد ، وفي الشرع : قصد الشيء مقترناً بفعله الهجرة : لغة : الترك ، وشرعاً : مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة .

سَبَبُ الحَدِيثِ : ذكر الطبراني بسندرجاله ثقات عن ابن مسعود قال : كانفينا رجل خطب امرأة يقال لها : أم قيس ، فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر ، فهاجر فتزوجها ، فكنا نسميه مهاجر أم قيس .

أَفْكَادُ الحَدِيثِ : • اتفق العلماء على أن النية في الأعمال لا بد منها ليترتب الثواب على فعلها ، ولكنهم فصلوا القول في جعلها شرطاً لصحة الأعمال ، فالشافعية قالوا : إنها شرط في الوسائل كالوضوء، والمقاصد كالصلاة ، وقالت الحنفية : إن النية شرط في المقاصد لا في الوسائل • محل النية القلب ولا يشترط التلفظ بها • الإخلاص لله تعالى في العمل شرط من شروط قبوله ، فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم .

٢/٢ وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ . (قَالَتْ) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . هٰذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ .

الحديث رواه البخاري في كتاب البيوع (باب ما ذكر في الأسواق)ومسلم في كتاب الفتن (باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت) .

لُغَةُ الحَدِيثِ : جيش : الله أعلم به وبزمانه ، وهذا من إخباره ﷺ عن الغيب، ببيداء : البيداء المفازة وجمعها بيد ، وهي الأرض الملساء التي لا شيء فيها ، وهل هي بيداء مكة أو غيرها، فيه خلاف والله أعلم بالحقيقة . الخسف : الذهاب في الأرض. أسواقهم : قيل : المعنى أهل أسواقهم كما ترجم له البخاري ، وقيل : السوقة منهم ، وهم من عدا الحكام . ثم يبعثون على نياتهم : أي يبعثهم الله تعالى من قبورهم ويحاسبون على مقاصدهم .

أفاد الحديث : • الإنسان يعامل بقصده من الخير والشر • التحذير من مصاحبة أهل الظلم والفجور • الحث على مصاحبة الأخيار • إخبار الرسول ﷺ عن المغيبات ، وهي مما يجب الإيمان بها كما وردت ، والإيمان بأنها ستقع كما أخبر ، لأنه عليه الصلاة والسلام لاينطق عن الهوى .

٣ - وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا هِجْرَةَ بَعْدَ ٱلْفَتْحِ ، وَلٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ؛ وَإِذَا ٱسْتُنْفِرْتُمْ فَٱنْفِرُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَمَعْنَاهُ : لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ .

الحديث رواه البخاري في الجهاد (باب وجوب النفير) و (باب فضل الجهاد) و (باب لا هجرة بعد الفتح) و (باب إثم الغادر للبر والفاجر) ومسلم في الإمارة (باب المبايعة بعد فتح مكة) .

لغة الحديث : بعد الفتح : أي بعد فتح مكة ، وكان فتحها سنة ثمان بعد الهجرة . الجهاد : محاربة الكفار ، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل . ونية : إخلاص العمل لله تعالى . استنفرتم : أي طلب منكم الخروج إلى الجهاد ، ونفر إلى الشيء أسرع إليه .

أفاد الحديث : • إذا صارت البلد دار إسلام لم تجب الهجرة منها إلى غيرها . • تبقى الهجرة واجبة من الأماكن التي لايتأتى للمسلم إقامة أمر دينه فيها إذا كانت دار كفر • يجب قصد الجهاد والاستعداد له ، وأن يلبي داعي الجهاد إذا دعاه .

٤ - وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ جابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ٱلْأَنْصارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : « إِنَّ بِٱلْمَدِينَةِ لَرِجالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً ، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ ٱلْمَرَضُ » وَفِي رِوَايَةٍ : « إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي ٱلْأَجْرِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَرَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : رَجَعْنا مِنْ غَزْوَةٍ

تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّ أَقْوَاماً خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ ما سَلَكْنَا شِعْباً وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ » .

حديث جابر رواه مسلم في كتاب الإمارة (باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو غيره) .

وحديث أنس : رواه البخاري في كتاب الجهاد(باب من حبسه العذرعن الغزو) وفي المغازي .

لغة الحديث : الأنصاري : نسبة الى الأنصار ، مفرده ناصر ، وكان الأصل أن ينسب إلى المفرد ، إلا أنه نسب إلى الجمع، لأن لفظ الجمع قد صار علماً بالغلبة على الذين نصروا رسول الله ﷺ ودينه فصارت النسبة اليه .

في غزاة : هي غزوة تبوك سنة تسع بعد الهجرة . شركوكم في الأجر : شاركوكم في الثواب . أقواماً : رجالاً لأن القوم يختصون بالرجال . شعباً : بكسر الشين طريقاً في الجبل . وادياً : الوادي في القاموس : مفرج مابين جبال أو تلال أو آكام .

أفاد الحديث : • من حبسه العذر عن الجهاد كان له أجر المجاهدين إذا صحت نيته وقصده في الرغبة في الجهاد .

٥ وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ ـ قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا ، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا . فَقَالَ : وَاللهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : « لَكَ ما نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ ، وَلَكَ ما أَخَذْتَ يَا مَعْنُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب إذا تصدق على ابنه وهو لا يشعر) .

لغة الحديث : صحابيون : الصحابي من اجتمع من البشر بالنبي ﷺ حال حياته مؤمناً به ولو فترة يسيرة ومات على الإيمان ، هذا عند الإطلاق ، وأما في اصطلاح الأصوليين : فهو ماذكر بالإضافة إلى أنه لازم الرسول ﷺ ملازمة طويلة حتى أصبح يطلق عليه لفظ صاحب . لك ما نويت : أي ثوابه ، لأنه نوى الصدقة بها على محتاج ، وابنه محتاج وإن لم ينوه . لك ما أخذت : لك مِلك ما أخذت، لأنه قبضها قبضاً صحيحاً شرعاً .

أفاد الحديث : • أن صدقة التطوع يجوز دفعها للفروع ، وأما الصدقة الواجبة (الزكاة) فلا يجوز دفعها للفروع ولا للأصول • جواز التوكيل في توزيع الصدقة .

٦ ـ ٦ وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أُهَيْبِ ابْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ الْقُرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَحَدِ الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، قَالَ : جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ الله إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَالشَّطْرُ يا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ يا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : « الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ـ أَوْ كَبِيرٌ ـ أَنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ » . (قَالَ) فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي ؟ قَالَ : « إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي

بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ٱزْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً ، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ . اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، لٰكِنِ ٱلْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ » . يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ : مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز (باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة) والوصايا (باب أن يترك ورثته أغنياء ...) وفي الإيمان والمغازي وغيرها . ورواه مسلم في كتاب الوصية (باب الوصية بالثلث) .

لغة الحديث : الشطر : النصف . تذر : تترك . عالة : فقراء ، واحده عائل . يتكففون الناس : يسألونهم ما في أكفهم . أخلف بعد أصحابي : أأترك في مكة بعد انصرافهم عنها . ينتفع بك : هذا من إخباره ﷺ بالمغيبات ، وقد فتح سعد العراق فاهتدى على يديه أقوام فانتفعوا ، وقتل على يديه كفار فخسروا . أمض : أتمم . البائس : من اشتدت حاجته واشتد حزنه ، ومناسبة ذكر هذا عند سعد بن أبي وقاص تطييب قلبه بقبول هجرته وإتمامها له لاكسميه سعد بن خولة . يرثي له : يحزن له ويتوجع من أجله .

قوله : لكن البائس سعد بن خولة يرثي له ﷺ أن مات بمكة : مدرج من كلام الراوي ، وسعد هذا قيل أسلم ولم يهاجر من مكة ، فكان بؤسه من عدم هجرته ، وقيل هاجر وشهد بدراً ثم انصرف إلى مكة ومات بها، فيكون بؤسه لسقوط هجرته لأنه رجع إلى مكة مختاراً ومات بها ، وقيل هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد بدراً وغيرها وتوفي بمكة في حجة الوداع، وسبب بؤسه على هذا موته في مكة وفوات الأجر الكامل له في الهجرة والغربة عن وطنه.

أفاد الحديث : • يجوز ذكر المرض لغرض صحيح من نحو مداواة أو دعاء رجل صالح • إباحة جمع المال من وجه حلال ولا يعدّ ذلك من الكنز إذا

كان صاحبه يؤدي حقه • الصدقة أوالوصية في مرض موت لاتجوز بأكثر من الثلث إلا بإجازة الورثة • يثاب الإنسان على عمله بنيته ، والإنفاق على العيال فيه أجر إذا قصد الإنسان به وجه الله تعالى .

٧/٧ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب البر (باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) .

لغة الحديث : لاينظر إلى أجسامكم : أي لايثيبكم عليها ، ودليل ذلك قوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً) سبأ : ٣٧ .

أفاد الحديث : • الإثابة على الأعمال تكون بما انعقد عليه القلب من الإخلاص وصدق النية • الاعتناء بحال القلب وتصحيح مقاصده وتطهيره من كل وصف مذموم يمقته الله • الاعتناء بإصلاح القلب مقدم على عمل الجوارح ، لأن عمل القلب مصحح للأعمال الشرعية .

٨/٨ وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً أَيُّ ذٰلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في العلم (باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً) ومسلم في

الإمارة (باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) .

لغة الحديث : سئل : السائل هو لاحق بن ضمرة الباهلي . حمية : أنفة وغيرة ومحاماة عن عشيرته . رياء : مراءاة ليرى الناس قتاله . كلمة الله : دين الله .

أفاد الحديث : • أن الأعمال إنما يعتد بها عند الله بحسب النيات الصالحة ، وأن الفضل الوارد في المجاهدين إنما يخص بمن قاتل لإعلاء كلمة الله ، ولكن لا يمنع هذا من معاملة القتيل في المعركة معاملة الشهيد ، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه بل يدفن ، وأمر النية والقصد متروك إلى الله سبحانه .

٩ - وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » . (قُلْتُ) : يَا رَسُولَ اللهِ ، هٰذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن (باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما) والإيمان والديات . ومسلم في كتاب الفتن (باب إذا توجه المسلمان بسيفيهما) .

لغة الحديث : التقى المسلمان : قصد كل واحد منهما قتل صاحبه .

أفاد الحديث : • وقوع العقاب على من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها وباشر أسبابها ، سواء حدثت أم لم تحدث ، هذا إذا لم يعف الله سبحانه عنه ، أما ما جاء من العفو عن خواطر القلب فيحمل على من مرّ ذلك بفكره من غير استقرار ومن غير همّ بها • التحذير من اقتتال المسلمين ، إذ إن ذلك يؤدي إلى ضعفهم وسخط الله عليهم .

١٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « صَلاَةُ الرَّجُلِ جَمَاعَةً تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً . وَذٰلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ؛

ثُمَّ أَتَى ٱلْمَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ ، لاَ يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلاَةُ ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلا رُفِعَ لَهُ بِها دَرَجَةٌ ، وَحُطَّ عَنْهُ بِها خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ ٱلْمَسْجِدَ ، فَإِذَا دَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةِ هِيَ تَحْبِسُهُ ! وَٱلْمَلاَئِكَةُ يُصَلُّونَ عَلى أَحَدِكُمْ ما دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ٱرْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ ، ما لَمْ يُؤْذِ فيهِ ، ما لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ : وَهٰذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ . وَقَوْلُهُ ﷺ : « يَنْهَزُهُ » هُوَ بِفَتْحِ ٱلْيَاءِ وَٱلْهَاءِ وَبِالزَّايِ : أَيْ يُخْرِجُهُ وَيُنْهِضُهُ .

الحديث : رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب الصلاة في مسجد السوق) وفي كتاب الأذان (باب فضل صلاة الجماعة) وفي كتاب البيوع . ورواه مسلم في كتاب الصلاة (باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة) .

لغة الحديث: البضع : بكسر الباء وفتحها هو من الثلاثة إلى العشرة . أحسن الوضوء : أسبغه وأتى بسننه وآدابه . خطوة : بالضم مابين القدمين ، والخَطوة : المرة من الخطو . درجة : مرتبة ومنزلة ، ويحتمل أن تكون حسية أو معنوية بمعنى ارتفاع رتبته . حطّ : محا . خطيئة : ذنب . في الصلاة : أي في ثوابها . الملائكة : أجسام نورانية قادرة على التشكل ، ويجوز أن يكون المراد بهم في هذا الحديث الحفظة . يصلون : يدعون . ومالم يحدث : مالم يخرج ما ينقض وضوءه ويؤذي به الملائكة .

أفاد الحديث : • جواز الصلاة في الأسواق وإن كانت مكروهة لما فيها من انشغال القلب وعدم الخشوع • صلاة الجماعة في المسجد أفضل من صلاة الإنسان منفرداً بخمس أو ست أو سبع وعشرين درجة كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات • الإخلاص معتبر في تحقيق هذا الثواب • وأن الصلاة أفضل من غيرها من الأعمال لما ذكر من دعاء الملائكة للمصلي • وأن من وظائف الملائكة الدعاء للمؤمنين ، قال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) غافر/ ٧ وهذا مغيًّا بما إذا دام المصلي على وضوئه ولم يحدث أي أذى في المسجد .

١١/١١ وَعَنْ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيما يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبارَكَ وَتَعالَى قالَ : «إِنَّ اللهَ كَتَبَ ٱلْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذٰلِكَ : فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ تَبارَكَ وَتَعالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً . وَإِنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إِلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ تَعالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً . وَإِنْ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ سَيِّئَةً واحِدَةً » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب إذا هم العبد بحسنة كُتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب) والبخاري في كتاب الرقاق (باب من هم بحسنة أو بسيئة) والتوحيد .

لغة الحديث : يروي عن ربه عز وجل : هذا حديث قدسي : وهو ما أخبر الله به نبيه ﷺ بالإلهام أو رؤيا المنام أو غير ذلك من كيفيات الوحي ،

فعبر عنه النبي ﷺ بكلامه ، وليس له حكم القرآن من حيث الإعجاز والتواتر وحرمة حمل ما هو مكتوب عليه على غير المتوضىء ، وغير ذلك مما يختص به القرآن الكريم . تعالى : تنزه عما لايليق به . كتب : أمر الحفظة بكتابتها . همّ : أرادها وترجح فعلها عنده . عنده : عندية شرف ومكانة ، لتنزهه تعالى عن المكان .

أفاد الحديث : • أن من همّ بحسنة كتبت له حسنة وإن لم يعملها ، لأن الهم بالحسنة سبب إلى عملها وسبب الخير خير • إن من همّ بسيئة ثم رجع عنها لله تعالى لا لشيء آخر كتبت له حسنة ، لأن رجوعه عن العزم عليها خير ، فجوزي في مقابلته بحسنة ، وإن قيل لمَ لم تكتب سيئة بالهم عليها ؟ فالجواب : أن الهم بالرجوع متأخر فيكون ناسخاً للهمّ المتقدم مثل قوله تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) .

١٢/١٢ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللّٰهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبُقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً ، فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً ، فَلَبِثْتُ - وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي - أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرِقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ ، فَاسْتَيْقَظَا

فَشَرِبا غَبُوقَهُما . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْـــرَةِ ، فَٱنْفَرَجَتْ شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُونَ ٱلْخُرُوجَ مِنْهُ . قَالَ ٱلْآخَـرُ : « اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ٱبْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ » وَفِي رِوَايَةٍ : « كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ ما يُحِبُّ الرِّجالُ النِّسَاءَ ، فَأَرَدْتُهَـا عَلى نَفْسِها فَٱمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَـةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُها عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَـــا فَفَعَلَتْ ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا ، وَفِي رِوَايَةٍ : « فَلَمَّا قَعَـدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتِ : اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ ٱلْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَٱنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ ، الَّذِي أَعْطَيْتُهَـــا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَٱفْرُجْ عَنَّـا ما نَحْنُ فِيهِ ، فَٱنْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ٱلْخُرُوجَ مِنْهَـا . وَقَالَ الثَّـالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي ٱسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّـذِي لَهُ وَذَهَبَ ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْـــهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي فَقُلْتُ : كُلُّ ما تَرَى مِنْ أَجْرِكَ : مِنَ ٱلْإِبِـلِ وَٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ والرَّقِيقِ . فَقَالَ : يَا عَبْدَاللهِ لَا تَسْتَهْزِىءْ بِي ! فَقُلْتُ : لَا أَسْتَهْزِىءُ بِكَ ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَٱسْتَاقَـهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَٱفْرُجْ

عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ! فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء (باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ، حديث الغار) والإجارة ، ومسلم في كتاب الرقاق (باب قصة في أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال) .

لغة الحديث : نفر : النفر اسم جمع يقع على عدد مخصوص من الرجال ، أي مابين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد له من لفظه . لاأغبق : الغبوق شرب العشي ، والصبوح شرب الصباح ، والمراد لاأقدم عليهما أحداً . ولا مالاً : أي من رقيق وخادم . فنأى : بعد ، والنأي البعد . فلم أُرِح : فلم أرجع ، يقال : أرحت الإبل : أي رددتها إلى قُراحها أي مأواها في الليل . بَرِق : تلألأ وظهر . يتضاغون : يصيحون من الجوع ، والضغاء : صوت الذلة والفاقة . ابتغاء وجهك : طلب رضاء ذاتك ، والتعبير بالوجه عن الذات شائع في اللغة . ففرجْ : دعاء من التفريج أي افتح . فأردتها : كناية عن طلب الجماع . ألمت : نزلت . سنة من السنين : أي المجدبة التي لاتنبت فيها الأرض شيئاً . قدرت عليها : تمكنت من الوقاع بها من غير معارض . لاتفض الخاتم : الفضّ الكسر والفتح ، والخاتم كناية عن الفرج والبكارة . إلا بحقه : بزواج مشروع . فثمرت : كثرت .

أفاد الحديث : • استحباب الدعاء وقت الكرب وغيره ، والتوسل إلى الله تعالى بصالح العمل • فضيلة برّ الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على سواهما من الولد والزوجة • الحض على العفاف عن المحرمات ولا سيما بعد القدرة عليها وترك ذلك لله تعالى خالصاً • فضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة • إستجابة دعاء من توجه إلى الله تعالى بصدق وإخلاص في الشدائد ، ولاسيما من سبق له عمل صالح • إن الله لايضيع أجر من أحسن عملاً .

٢- بَابُ التَّوبَةِ

قَالَ ٱلْعُلَمَاءُ : التَّوْبَةُ[1] وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، فَإِنْ كَانَتِ ٱلْمَعْصِيَةُ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا أَنْ يُقْلِعَ[2] عَنِ ٱلْمَعْصِيَةِ ، وَالثَّانِي أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَعْزِمَ أَلَّا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً . فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ . وَإِنْ كَانَتِ ٱلْمَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ : هٰذِهِ الثَّلَاثَةُ وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مَالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ ، وَإِنْ كَانَ غِيبَةً ٱسْتَحَلَّهُ مِنْهَا . وَيَجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْحَقِّ[3] مِنْ ذٰلِكَ الذَّنْبِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ ٱلْبَاقِي . وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلَائِلُ ٱلْكِتَابِ ، وَالسُّنَّةِ ، وَإِجْمَاعِ ٱلْأُمَّةِ عَلَى وُجُوبِ التَّوْبَةِ .

---

(١) التوبة لغة : الرجوع ، وشرعاً : الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى . (٢) يقلع : يكف وينقطع . (٣) أهل الحق : أهل السنة والجماعة .

قالَ اللهُ تعالَى : « وَتُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعاً أَيُّها ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »[1] . وقالَ تعالَى : « ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ »[2] . وقالَ تعالَى : « يَا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً »[3] .

(١) النور/٣١ . (٢) هود/٣ . (٣) التحريم/٨ ، والتوبة النصوح : هي الخالصة أو المخلصة الصادقة .

١/١٣ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « وَٱللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ أَكْثَرَ مِن سَبْعِينَ مَرَّةً » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في الدعوات (باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة) .

لغة الحديث : أستغفر : أي أطلب المغفرة وهي الصفح عن الذنب ، وأصل الغفر الستر .

أفاد الحديث : • حض الأمة على التوبة والاستغفار ، فإنه ﷺ مع كونه معصوماً وخير الخلائق وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر ويتوب في اليوم سبعين مرة .

٢/١٤ وَعَنِ ٱلْأَغَرِّ بْنِ يَسارٍ ٱلْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَا أَيُّها النَّاسُ تُوبُوا إِلَى ٱللهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي ٱلْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في الذكر (باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه) .

أفاد الحديث : • مع ماقبله أن المطلوب كثرة الاستغفار والمسارعة إلى التوبة ، وما ذكر في هذا الحديث والذي قبله من العدد لايقصد به التحديد ، وإنما المقصود به الكثرة .

٣/١٥ وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ ٱلْأَنصارِيِّ خادِمِ رَسُولِ الله ﷺ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « لَلهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ »، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسلِمٍ « لَلهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، فَٱنْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْها طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ مِنْها فَأَتى شَجَرَةً فَٱضْطَجَعَ فِي ظِلِّها وَقَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ . فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ هُوَ بِها قَائِمَةً عِنْدَهُ ، فَأَخَذَ بِخِطَامِها ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ ٱلْفَرَحِ » .

الحديث رواه البخاري في الدعوات (باب التوبة) ومسلم في التوبة (باب الحض على التوبة) .

لغة الحديث : لَلهُ : جواب لقسم مقدر تقديره : والله لَلهُ . أفرح : أي أشد فرحاً ، والفرح بالنسبة للإنسان : السرور ولذة القلب بنيل ما يشتهي ، وبالنسبة لله تعالى يراد الرضى . سقط على بعيره : أي عثر عليه وصادفه من غير قصد . أضله : ضيعه . فلاة : أرض واسعة لانبات بها ولا ماء . الراحلة : ما يركبه المسافر من ناقة أو غيرها . الخطام : قال في النهاية : خطام البعير : أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على مخطمه ، والخطم : من كل دابة مقدم الأنف والفم .

أفاد الحديث : • رحمة الله تعالى بعباده بقبول توبتهم ، وحبه إياهم ، قال

الله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) • الترغيب بالتوبة والحث عليها • عدم المؤاخذة في الخطأ غير المتعمد • الاقتداء بالنبي ﷺ في التعليم بضرب المثل لتقريب المعنى وزيادة الإيضاح • جواز القسم للتأكيد على ما فيه فائدة ومصلحة .

٤/١٦ وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ٱلْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب التوبة (باب غيرة الله تعالى) .

لغة الحديث : يبسط يده : إن لله يداً هو أعلم بحقيقتها وكيفية بسطها ، ويرى بعض أهل العلم أن هذا كناية عن بسط رحمته وسعتها ، وفتحه باب التوبة لعباده .

أفاد الحديث : • أن رحمة الله بعباده وعفوه عنهم شامل لجميع الأزمنة فلا يختص بها زمان دون زمان وإن كان لبعضها مزية على غيرها • الحث على المسارعة في التوبة إذا وقعت المعصية في ليل أو نهار • قبول التوبة مستمر ما دام بابها مفتوحاً ، ويغلق بابها بطلع الشمس من مغربها الذي هو علامة كبرى من علامات قيام الساعة .

٥/١٧ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في الذكر والدعاء (باب استحباب الاستغفار) .

لغة الحديث : تاب الله عليه : أي قبل توبته .

أفاد الحديث : • أن الله تعالى يقبل التوبة من عباده تفضلاً منه إذا كانت مستجمعة لشروطها ، ومن شروطها : أن تقع من التائب قبل طلوع الشمس من مغربها ، وقد جاء في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) أن المراد بذلك طلوع الشمس من مغربها .

٦/١٨ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الحديث رواه الترمذي في الدعوات (باب التوبة مقبولة قبل الغرغرة) رقم / ٣٥٣١ / .

لغة الحديث : يغرغر : مأخوذ من الغرغرة ، وهي جعل الشراب في الفم ثم ترديده إلى أصل حلقومه فلا يبتلعه ، والمراد الاحتضار ووصول الروح إلى الحلقوم وهو أسفل الحلق .

أفاد الحديث : • أن من شروط التوبة أن تقع من المكلف قبل أن يصل إلى حالة لاتمكن الحياة بعدها عادة ، قال تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) .

٧/١٩ وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَ : مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ ؟ فَقُلْتُ : ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ . فَقَالَ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَطْلُبُ . فَقُلْتُ : إِنَّهُ قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي الْمَسْحُ عَلَى

ٱلْخُفَّيْنِ بَعْدَ ٱلْغَائِطِ وَٱلْبَوْلِ ، وَكُنْتَ ٱمْرَأً مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذٰلِكَ شَيْئاً ؟ قالَ : نَعَمْ ، كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْراً - أَوْ مُسافِرِينَ - أَلَّا نَنْزِعَ خِفافَنا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنابَةٍ ، لٰكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ . فَقُلْتُ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ٱلْهَوَى شَيْئـــاً ؟ قالَ : نَعَمْ ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ : يَا مُحَمَّدُ ! فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْواً مِنْ صَوْتِهِ هَاؤُمُ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ، ٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هٰذَا ! فَقالَ : وَاللهِ لاَ أَغْضُضُ . قالَ ٱلْأَعْرَابِيُّ : ٱلْمَرْءُ يُحِبُّ ٱلْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ » . فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنا حَتَّى ذَكَرَ باباً مِنَ ٱلْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ ، أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ ، أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَاماً » . قالَ سُفْيانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ : قِبَلَ الشَّامِ ، خَلَقَـــهُ اللهُ تَعالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ مَفْتُوحاً لِلتَّوْبَةِ ، لاَ يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ وَقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

الحديث رواه الترمذي في الدعوات (باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده) رقم / ٣٥٢٩ /و/ ٣٥٣٠ /وفي الطهارة رقم /٩٦/ .

ورواه النسائي في كتاب الطهارة (باب التوقيت في المسح على الخفين للمسافر) وابن ماجه في كتاب الطهارة والفتن .

لغة الحديث : ما جاء بك : ما حملك على المجيء . ابتغاء العلم : من أجل طلب العلم . تضع أجنحتها : مجاز عن معونته وتيسير سعيه . حكّ في صدري : حصل عندي شك . الغائط : في أصل اللغة هو المكان المنخفض من الأرض ، وأطلق على ما يخرج من دبر الإنسان للمجاورة . سَفْراً : جمع سافر ، مثل صحْب جمع صاحب . أو: تدل على الشك من الراوي هل قال سفراً أو مسافرين . خفافنا : جمع خف ، وهو ما يلبس في قدم الإنسان كالحذاء . يأمرنا : الأمر هنا للإباحة والجواز . الجنابة : هي لغة البعد ، وشرعاً ما يوجب الغسل من جماع أو إنزال . الهوى : الحب . أعرابي : نسبة إلى أعراب ، وهم سكان البوادي ، ونسب إلى الجمع تمييزاً له عن عربي الذي يشمل من يسكن البادية أو القرى . الجهوري : الشديد العالي . نحواً من صوته : أي بصوت مرتفع كصوته . هاؤم : خذ . ويحك : كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في سوء لايستحقه . اغضض : انقص . لما يلحق بهم : أي لم يعمل مثل عملهم من حيث الكمال . فما زال : أي النبي ﷺ . للتوبة : لقبول التوبة .

أفاد الحديث : • الحث على طلب العلم وسؤال المكلف أهل العلم عما أشكل من أمر دينه • جواز المسح على الخفين ومدته للمسافر ثلاثة أيام بلياليها ، وللمقيم يوم وليلة ، وتبتدىء المدة من الحدث بعد لبسه ، ويشترط لجواز المسح : أن يكون الخف طاهراً ، وأن يلبس بعد طهارة كاملة، وأن يكون ساتراً للكعبين، وأن يمكن تتابع المشي فيه لتردد المسافر لحاجاته دون أن يبلى ، وينوب مسح الخفين عن غسل الرجلين في الطهارة من الحدث الأصغر فقط كما ذكر في الحديث : من غائط وبول ونوم ، ولا ينوب عن غسلهما في الطهارة من الحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس ، فلا بد في هذه الحالة من نزع الخف وغسل الرجلين • التأدب مع العلماء والصالحين ، وخفض الصوت في مجالس العلم • تعليم الجاهل حسن الأدب وقواعد السلوك • الاقتداء بالنبي ﷺ في حلمه وحسن خلقه ومخاطبته الناس على قدر علمهم وعقولهم • الحرص على مجالسة الصالحين وحبهم والتقرب منهم ، والبعد عن مخالطة الأشرار ، والحذر من

تعلق القلب بأهل المعاصي والفجور • من شأن المحبة أن تجذب المحب إلى طريق من يحب وتحمله على طاعته • فتح باب الأمل والرجاء، والتبشير بالنجاة واللطف في الموعظة • سعة رحمة الله عز وجل، وتيسيره أسباب الهداية، وفتحه باب التوبة، وذكر الباب ربما يكون كناية عن ذلك، وقد يكون باباً الله أعلم بحقيقته.

٨/٢٠ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ؛ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِها أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللهَ تَعالَى فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّها أَرْضُ سَوْءٍ؛ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ. فَقالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعالَى! وَقالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ: فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ - أَيْ حَكَماً - فَقَالَ: قِيسُوا ما بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِما كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ

الرَّحْمَةِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ « فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا » وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيحِ : « فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي وَإِلَى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي » . وَقَالَ : « قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوَجَدُوهُ إِلَى هٰذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ » . وَفِي رِوَايَةٍ : فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا .

الحديث رواه البخاري في كتاب الأنبياء (باب ماذكر عن بني إسرائيل) ومسلم في كتاب التوبة (باب قبول توبة القاتل) .

لغة الحديث : راهب : هو المتخلي عن أشغال الدنيا والتارك لملاذها والزاهد فيها والمعتزل لأهلها المتعمد للمشاق . من يحول : استفهام إنكاري ، أي : أي شيء يكون حائلا وفاصلا . بينه : أي بين التائب من الذنب والتوبة . أرض كذا وكذا : روى الطبراني أن اسمها بصرى ، واسم القرية التي كان فيها كفرة . نصف الطريق : أي بلغ نصفها . الأرضَيْن : أي التي خرج منها والتي ذهب إليها . أدنى : أقرب . نأى : نهض بجهد ومشقة رغم ثقل ماأصابه من الموت .

أفاد الحديث : • حسن أسلوب النبي ﷺ في التوجيه والموعظة بضرب الأمثلة الواقعية ، وكذلك جواز التحدث عن الأمم السابقة مما لم يأت الإسلام بما يخالفه . • النفوس التي فيها استعداد للخير والحق ترجع إلى الاستقامة وإن انحرفت بها الأهواء حيناً عن طريق الهدى • فضل العلم مع قلة العبادة على كثرة العبادة مع الجهل ، لأن العابد الجاهل ربما أساء من حيث أراد أن يحسن صنعاً فهلك وأهلك ، والعالم يهتدي بنور العلم فيوفق للحق فينتفع وينفع • باب التوبة مفتوح ، والتائب مقبول مهما عظم منه الذنب وكثرت الخطايا • على الداعي إلى الخير ومن ينتصب لمعالجة النفوس أن يكون ذا حكمة بالغة بحيث يفطن لما يصلح النفوس ويسلك بها سبيل الأمل وفتح باب الرجاء • قبول توبة

القاتل عمداً وعليه إجماع العلماء ، لأن الظاهر من الحديث أن قتله للنفوس كان عمداً وعدواناً ، ولم يمنع ذلك من قبول توبته ، وهذا وإن كان في شرع من قبلنا لكنه جاء في شرعنا مايؤيده كقوله تعالى في سورة الفرقان : (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بعد قوله تعالى (ولا يقتلون ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) • مجانبة أهل المعاصي ومقاطعتهم ماداموا على حالهم ، ومصاحبة أهل التقوى والعلم والصلاح • حب الله تعالى لتوبة عباده وإخباره الملائكة بذلك مباهاة بهم ، وأخذه بيد عباده التائبين الى النجاة • بذل الجهد وتحمل المشقة من أجل اللحاق بالصالحين ، وفعل عمل المقربين دليل صدق الرغبة في التوبة الى الله عز وجل • يحسن بمن يصف حالاً أو ينقل كلاماً عن غيره مما يكره النطق به أن يأتي به بلفظ الغائب ، وكذلك إذا كان يخاطب بهذا الكلام غيره فلا يضيفه إليه مراعاة لحسن الأدب في الخطاب ، كما أشار إليه قوله (إنه قتل فهل له ، ومن يحول بينه) • وفي الحديث إشارة إلى قدرة الملائكة على التشكل ، وتنويه بفضل الإنسان حيث جعل الملك الحكم على صورة الآدمي .

٩/٢١ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ ، وَكانَ قائِدَ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ . قالَ كَعْبٌ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزاها قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ ، وَلَمْ يُعاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ ؛ إِنَّما خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللهُ تَعالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلى غَيْرِ مِيعادٍ . وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنا

عَلى ٱلْإِسْلَامِ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْها . وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ ٱلْغَزْوَةِ ، وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُما فِي تِلْكَ ٱلْغَزْوَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ ٱلْغَزْوَةُ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ ؛ وَٱسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفَازاً وَٱسْتَقْبَلَ عَدَداً كَثِيراً ؛ فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ ٱلَّذِي يُرِيدُ ؛ وَٱلْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حافِظٌ « يُرِيدُ بِذٰلِكَ الدِّيوَانَ » . قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ سَيَخْفَى بِهِ ما لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ . وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ ٱلْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَٱلْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلى ذٰلِكَ إِذَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى ٱسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِياً وَٱلْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئاً ، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، فَلَمْ

يَزَلْ ذٰلِكَ يَتَمادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفارَطَ ٱلْغَـــزْوُ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ، فَيا لَيْتَنِي فَعَلْتُ ! ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذٰلِكَ لِي ، فَطَفِقْتُ إِذا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً ، إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ وَهُوَ جالِسٌ فِي ٱلْقَوْمِ بِتَبُوكَ : « مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَـــرُ فِي عِطْفَيْهِ . فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بِئْسَ مَا قُلْتَ ! وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَبَيْنا هُوَ عَلى ذٰلِكَ رَأَى رَجُلاً مُبَيِّضاً يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ ٱلْأَنْصارِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ ٱلْمُنافِقُونَ . قالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قافِلاً مِـــنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي ، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ ٱلْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَ أَخْـــرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً ؟ وَأَسْتَعِينُ عَلى ذٰلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ، فَلَمَّا قِيلَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قادِماً زَاحَ عَنِّي ٱلْباطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَداً ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قادِماً ،

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِٱلْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذٰلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ ، وَكَانُوا بِضْعاً وَثَمَانِينَ رَجُلاً ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلاَنِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعالَى حَتَّى جِئْتُ . فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ ٱلْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : تَعالَ ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقالَ لِي : « ما خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ٱبْتَعْتَ ظَهْرَكَ » (قالَ) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلٰكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ يُسْخِطُكَ عَلَيَّ ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَاللهِ ما كانَ لِي مِنْ عُذْرٍ ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . (قالَ) فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » . وسارَ رِجالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَٱتَّبَعُونِي فَقالُوا لِي : وَاللهِ ما عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هٰذَا . لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَلَّا تَكُونَ ٱعْتَذَرْتَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَا ٱعْتَذَرَ بِهِ ٱلْمُخَلَّفُونَ ، فَقَدْ كانَ كافِيكَ ذَنْبَكَ ٱسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ . (قالَ) : فَوَاللهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلى

رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هٰذَا مَعِيَ مِنَ أَحَدٍ؟ قالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلاَنِ قالاَ مِثْلَ ما قُلْتَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ ما قِيلَ لَكَ. (قالَ) قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، (قالَ): فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ. (قالَ) فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ. (قالَ) فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ـ أَوْ قَالَ تَغَيَّرُوا لَنا ـ حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ، فَما هِيَ بِالْأَرْضِ التِّي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنا عَلى ذٰلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِباَيَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِما يَبْكِيانِ. وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلى صَلاَتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ ما رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ. فَقالَ: اللهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ ٱلْجِدَارَ ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ ٱلْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِٱلْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ كَاتِباً . فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَٱلْحَقْ بِنا نُوَاسِكَ . فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُها : وَهٰذِهِ أَيْضاً مِنَ ٱلْبَلاَءِ ! فَتَيَمَّمْتُ بِها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُها ، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ ٱلْخَمْسِينَ ، وَٱسْتَلْبَثَ ٱلْوَحْيُ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي فَقالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ ٱمْرَأَتَكَ ، فَقُلْتُ : أُطَلِّقُها أَمْ ماذَا أَفْعَلُ ؟ فَقالَ : لاَ بَلِ ٱعْتَزِلْها فَلاَ تَقْرَبَنَّها . وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذٰلِكَ . فَقُلْتُ لِٱمْرَأَتِي : ٱلْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ . فَجاءَتِ ٱمْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قالَ : لاَ وَلٰكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ . فَقالَتْ : إِنَّـــهُ وَاللهِ ما بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلى شَيْءٍ ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلى يَوْمِهِ هٰذَا . فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوِ ٱسْتَأْذَنتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ

فِي أَمْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِاَمْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَـهُ . فَقُلْتُ : لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اَسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ ، فَلَبِثْتُ بِذٰلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنَ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَـا ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ اَلْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِيْنَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَـا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى اَلْحَالِ اَلَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَـلَيَّ اَلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ ، فَخَرَرْتُ سَاجِـداً وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ . فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ اَلْفَجْرِ ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا . فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُـلٌ فَرَساً وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى عَلَى اَلْجَبَلِ . فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ اَلْفَـرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي اَلَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَـهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبُشْرَاهُ ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاَسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَاَنْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي : لِتَهْنِكَ تَوْبَـةُ اللهِ عَلَيْكَ ؛ حَتَّى دَخَلْتُ اَلْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَـةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُهَرْوِلُ حَتَّى صافَحَني وهَنَّأَني . واللهِ ما قامَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْمُهاجِرِينَ غَيْرُهُ ، فَكانَ كَعْبٌ لا يَنْساها لِطَلْحَةَ . قالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ وهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » . فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ قالَ : « لا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذا سُرَّ ٱسْتَنارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وكُنَّا نَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وإِلَى رَسُولِهِ . فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . فَقُلْتُ : إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ ، وقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعالَى إِنَّما أَنْجانِي بِالصِّدْقِ ، وإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَلَّا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً ما بَقِيتُ ، فَوَاللهِ ما عَلِمْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ اللهُ تَعالَى في صِدْقِ ٱلْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي اللهُ تَعالَى . واللهِ ما تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هٰذا . وإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِيَ اللهُ تَعالَى فِيما بَقِيَ ، قالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ تَعالَى (لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَٱلْمُهاجِرِينَ وَٱلْأَنْصارِ الَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ ٱلْعُسْرَةِ)[1] حَتَّى بَلَغَ : (إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا

---

(١) – التوبة / ١١٧ تتمة الآية (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم) يزيغ : يميل ويذهب عن اتباعه ﷺ .

حَتَّى إِذَا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)[1] حَتَّى بَلَغَ : (ٱتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[2] قالَ كَعْبٌ : واللهِ ما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ ﷺ أَلَّا أَكُونَ كَذَبْتُهُ ، فَأَهْلِكَ كَما هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا : فَإِنَّ اللهَ تَعالَى قالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ ٱلْوَحْيَ شَرَّ ما قالَ لِأَحَدٍ فَقالَ اللهُ تَعالَى : (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ومَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفاسِقِينَ)[3] قالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنا ـ أَيُّها الثَّلاثَةُ ـ عَنْ أَمْرِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ

---

(١) ـ التوبة / ١١٨ تتمة الآية (وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) . بما رحبت : أي مع رحبها وسعتها . ظنوا : أيقنوا . لاملجأ من الله إلا إليه : لامفر من سخط الله إلا الى استغفاره . تاب عليهم : ألهمهم أسباب التوبة . تواب : يقبل التوبة الصحيحة .

(٢) ـ التوبة / ١١٩ والآية بكاملها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

(٣) ـ التوبة/ ٩٥ ، ٩٦ انقلبتم : رجعتم . لتعرضوا عنهم : تتركوا معاتبتهم . رجس : قذر لخبث باطنهم . مأواهم : مسكنهم .

مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ ، فَبَايَعَهُمْ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ تَعَالَى فِيهِ بِذٰلِكَ . قَالَ اللهُ تَعَالَى (وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا) وَلَيْسَ ٱلَّذِي ذُكِرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ ٱلْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : « أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ » وَفِي رِوَايَةٍ « وَكَانَ لَا يَقْدُمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَاراً فِي ٱلضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِٱلْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ » .

الحديث رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة تبوك) وفي التفسير، سورة براءة (باب لقد تاب الله على النبي) و (باب وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وغيرها . ورواه مسلم في كتاب التوبة (باب توبة كعب بن مالك) .

لغة الحديث : تبوك : اسم موضع . تخلف : لم يخرج معه إلى الجهاد . بدر : اسم لماء بين مكة والمدينة ، وبه سمي المكان الذي وقعت فيه المعركة المشهورة بين الرسول ﷺ والمشركين . العير : الإبل التي عليها أحمالها . ميعاد : موعد واتفاق . ليلة العقبة : وهي الليلة التي بايع فيها الأنصار النبي ﷺ على الإسلام وأن يؤيدوه وينصروه ، وهي بيعة العقبة الثانية . تواثقنا : تبايعنا عليه وتعاهدنا . ما أحب أن لي بها مشهد بدر : أي ما أحب أني شهدت بدراً ولم أشهد ليلة العقبة . أذكر : أشهر ذكراً في الفضيلة . ورّى : أي أخفى مقصده وأظهر غيره ، وذلك بأن يذكر كلاماً يحتمل مقصده ويحتمل شيئاً آخر وقد يفهم السامع أنه هو المقصود . مفازاً . ويقال مفازة ، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ، سميت بذلك تفاؤلاً . فجلّى : كشف وأوضح المقصد الذي يريده من غير تورية . ليتأهبوا : ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم ، والأهبة :

العُدة . بوجههم : بمقصدهم الذي يتجهون إليه . طابت : أينعت ونضجت . أصعر : أميل . طفقت : جعلت ، وهي من أفعال الشروع التي ترفع الاسم وتنصب الخبر . الجد : الاجتهاد في أمر السفر وشؤونه . جهازي : حاجيات سفري . مغموصاً : مطعوناً في دينه . فقال رجل من بني سلمة : بنو سلمة بطن من الأنصار ، والرجل هو عبد الله بن أنيس . حبسه برداه والنظر في عطفيه : حبسه منعه من الخروج ، وبرداه : مثنى برد وهو الإزار أو الرداء ، والبرود ثياب من اليمن فيها خطوط . عطفيه : جانبيه ، والجملة كناية عن العجب والكبر . مُبْيِضاً : لابس البياض . يزول به السراب : يتحرك ، والسراب مايظهر للإنسان من بعد كالماء وقت اشتداد الحر . لمزه : طعن فيه . قافلاً : راجعاً . بئي : البثّ أشد الحزن . أظل قادماً : أقبل ودنا . زاح : زال وذهب . أبداً : الأبد الزمن المستقبل . أجمعت : عزمت . ابتعت : اشتريت . ظهرك : الظهر هي الإبل التي تركب . تجد عليّ : تغضب . عقبى الله عز وجل : أن يعقبني الله خيراً بتوبته علي وإرضاء نبيه ﷺ عني . وثار : وثب ونهض . يؤنبونني : يلومونني أشد اللوم . العمري : هذا لفظ البخاري ، وعند مسلم : العامري . أسوة : قدوة . تنكرت : تغيرت . فاستكانا : ذَلاّ وخضعا . أشب القوم : أصغرهم سناً . أجلدهم : أقواهم . أطوف : أمشي دائراً . أسارقه النظر : أنظر إليه في خفية . جفوة : إعراض . تسوّرت : علوت سوراً . حائط : بستان . أنشدك : أسألك . فاضت عيناي : كثرت دموع عيني . توليت : رجعت من حيث أتيت . نبطي : فلاح ، سمي بـه لأنه يستنبط الماء أي : يستخرجه . الطعام : اسم لما يؤكل . طفق : أخذ . ملك غسان : هو جبلة بن الأيهم . لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة : أي لم يجعلك الله منقطعاً بدار تهان فيها أو يضيع فيها حقك . نواسيك : من المواساة أي نخفف عنك . البلاء : الابتلاء والاختبار من الله تعالى . فتيممت : قصدت . التنور : ما يخبز فيه . فسجرتها : أوقدتها وأحرقتها . استلبث : أبطأ . اعتزلها : لاتخالطها مخالطة الأزواج من الجماع ومقدماته . شيخ : ذو سن فوق الكهل وهو من جاوز الثلاثين ، وقيل من جاوز الأربعين . مابه حركة :

أي مايحركه ، وذلك من شدة كربه . بعض أهلي : أي ممن يخدمه ، والظاهر أنه لم يكن داخلاً فيمن نهي عن الكلام معه . الحال التي ذكر الله عنا : أي في قوله تعالى (وعلى الثلاثة) الآية . بما رحبت : وسعت . صارخ : هو أبو بكر . رجل : هو الزبير بن العوام . ساعٍ من أسلم : هو حمزة بن عمر الأسلمي . أوفى : صعد وارتفع . سلع : جبل في المدينة . فخررت ساجداً : أي سجدسجدة الشكر . فآذن : أعلم . قبيل صاحبي : جهتها . أتأمم : أقصد . يبرق : يلمع وهو كناية عن السرور . استنار : زاد نوراً على نوره . إن من توبتي : أي من شكري لله على توفيقي للتوبة وقبوله لها . أنخلع : أخرج ، والمراد: أتصدق . سهمي : نصيبي وبقعتي فيها . أبلاه الله : أنعم عليه . قال : أي كعب مبيناً للآية التي نزلت فيها التوبة عليه وعلى صاحبيه ، وهي الآيات ١١٧ ـ ١١٩ من سورة التوبة . لقد تاب الله : أي أدام توبته عليهم وقبوله لهم . ساعة العسرة : وقت الشدة ، وهي حالهم في غزوة تبوك ، فقد كانت حين اشتدالحر وطابت الثمار في المدينة كما ذكر في الحديث ، كما كانوا على قلة في الزاد والراحلة مع بعد المسافة . أرجأ : أخّر .

أفاد الحديث : • صراحة المسلم وصدقه ، واعترافه بتقصيره : وعدم تلفيقه الأعذار • خطته ﷺ الحكيمة على الصعيد العسكري ، كمحافظته على سرية الخطط وحسن تقديره للموقف ، وعدم تغريره بجنده ووضعهم في الصورة الواقعية حتى يكونوا على مستوى المهمة الملقاة على عاتقهم • اندفاع المسلمين إلى الجهاد في سبيل الله عز وجل عن رضا وطواعية رغم ما كانوا عليه من شدة ومخمصة • عدم التردد في التطوع ، والمبادرة بأخذ الأهبة والاستعداد • تألم المسلم من تقصيره في أداء الواجب ، وحرصه أن لا يكون من المتخلفين أو المنافقين • صراحة الصحابة رضي الله عنهم وصدقهم مع النبي ﷺ وقولهم الحق ولو كان على أنفسهم • يعامل الإنسان على ظاهره ويترك أمر باطنه إلى الله تعالى • لا يعفي المنافق من المسؤولية انتحاله الأعذار وتزينه الباطل • الاقتداء بأهل الصلاح والتقوى والتشبه بهم في السلوك والأخلاق • عدم الاكتراث بأهل النفاق

والفسوق ، وتركهم للأيام تفضحهم وتذلهم • وجوب مقاطعة من ظهرت منه المعصية بعدم مخالطته والسلام عليه والرد على سلامه وغير ذلك من دواعي المقاطعة مما يشعره بالهوان حتى يقلع عن الذنب ويظهر التوبة • ندم المؤمن وتألمه على ما فرط من فعل المعصية ، والبكاء جزاء ما اقترفت يداه • تشديد الإسلام في هجر العصاة ولو بعزلهم عن المجتمع ليكون أبلغ في التأديب • استحباب التعرض لمواطن الرحمة واستمطار المغفرة واستجلاب التوبة • تلطف المسيء بالتعرض لمن أساء إليه والتودد إليه بالاعتذار • حسن خلقه ﷺ ورأفته في صحبه وإشفاقه عليهم وسروره بسرورهم وفرحه بخيرهم • المؤمن يبتلى في دينه ودنياه ، ومن أراد الله به خيراً صدق مع الله تعالى وثبت على ما عاهد عليه • المؤمن يؤثر طاعة الله تعالى وطاعة رسوله على ما سواهما • من بدرت منه معصية يظن فيها نفاقه أو كفره فلا يجوز لزوجته أن تمكنه من نفسها • يستحب التبشير بالخير ، ومكافأة المبشر ، وتقديم التهنئة في مناسبات الفرح والسرور • كراهة التصدق بجميع المال كي لايؤدي ذلك إلى الافتقار وسؤال الناس • أثر الصدق في نجاة الإنسان في الدنيا والآخرة .

• شكر الله تعالى على تفضله وقبول التوبة، وعفوه عن المذنبين التائبين • التزام الوفاء بالعهود ، والطاعة بعد المعصية • فرح المؤمن بالتوبة والتوفيق للحق والصدق • وللحديث فوائد جمة وإرشادات كثيرة ، اقتصرنا على أهمها مما يخص باب التوبة .

١٠/٢٢ وعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ « بضَمِّ النُّونِ وفَتْحِ الْجِيمِ » عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ وهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى فَقالَتْ : يا رَسُولَ اللهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، فَدَعا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّها فَقالَ : أَحْسِنْ إِلَيها ، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِها نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْها ثِيابُها ثُمَّ

أَمَرَ بِها فَرُجِمَتْ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْها . فَقالَ لَهُ عُمَرُ : تُصَلِّي عَلَيها يا رَسُولَ اللهِ وقَدْ زَنَتْ ؟ قالَ : لَقَدْ تابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَينَ سَبْعِينَ مِن أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ . وهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جادَتْ بِنَفْسِها لِلهِ عَزَّ وجَلَّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب الحدود (باب من اعترف على نفسه بالزنى) .

لغة الحديث : امرأة من جهينة : هي خولة بنت خويلد ، وعند مسلم من غامد ، وهي بطن من جهينة . أصبت حداً : أي فعلت ما يعاقب عليه بحد . فشدت : أي جمعت أطرافها لتستتر . فقال له عمر : أي مستجلياً للحكمة وليس منكراً . سبعين : أي من العصاة . لوسعتهم : لكفتهم في رفع آثامهم. أفضل : أعظم . جادت بنفسها : بذلتها لمرضاة الله تعالى .

أفاد الحديث : • من خلق المؤمن التألم والندم إذا فرط منه الذنب ، وحرصه على تطهير نفسه من لوثة الإثم ولو كان في ذلك هلاك نفسه ، ليلقى الله عز وجل وهو عنه راض • العقوبة الدنيوية تكفر ذنب المعصية إذا اقترن ذلك بالندم والتوبة • لايقام حد الزنى على الحامل حتى تضع حملها ، فإن كان حدها الجلد فحتى تطهر من نفاسها ، وإن كان الرجم فحتى يستغني الولد عنها ولو بلبن غيرها .

١١/٢٣ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وادِياً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وادِيانِ ، ولَنْ يَمْلَأَ فاهُ إِلَّا التُّرَابُ ويَتُوبُ اللهُ عَلى مَنْ تابَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب مايتقى من فتنة المال وقول

الله تعالى : إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ومسلم في كتاب الزكاة (باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً) .

لغة الحديث : وادياً : ملء وادٍ . ولن يملأ جوفه إلا التراب : أي لايزال حريصاً حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره .

أفاد الحديث : • شدة حرص الإنسان على جمع المال وغيره من متع الدنيا ، وهذا الحرص الشديد مذموم إذا كان فيه تضييع للطاعة ، وانشغال القلب بالدنيا أكثر من الآخرة • يقبل الله تعالى توبة من تاب من الصفات المذمومة .

١٢/٢٤ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « يَضْحَكُ اللهُ سُبْحانَهُ وتعالَى إلى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُما الْآخَرَ ، يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ ، يُقاتِلُ هٰذا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلى الْقاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَدُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد (باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيُسدِّدُ بعدُ ويقتل) ومسلم في كتاب الإمارة (باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة) .

لغة الحديث : يضحك : الله أعلم بهذا الضحك ، وقيل : المراد بالضحك بالنسبة لله تعالى هنا محبته لفعلهما والرضا عنه والثواب عليه .

أفاد الحديث : • وجوب التوبة من الذنب مهما كبر ، وعدم اليأس من رحمة الله تعالى • الإسلام يمحو ما قبله من جريمة الكفر ، والتوبة تمحو ما قبلها من الآثام .

* * *

٣ - بَابُ الصَّبر

قالَ اللهُ تَعالَى : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا)[١] وقالَ : (ولَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ والْجُوعِ ونَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ والْأَنْفُسِ والثَّمَراتِ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[٢] وقالَ تعالَى : (إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ)[٣] وقالَ تَعالَى : (ولَمَنْ صَبَرَ وغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)[٤] وقالَ تَعالَى : (اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[٥] وقالَ تَعالَى : (ولَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ)[٦] والآياتُ في الأَمْرِ بالصَّبْرِ وبَيانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

---

(١) آل عمران / ٢٠٠ . اصبروا : على الطاعات والمصائب ، وعن المعاصي ، قال الراغب الاصفهاني في مفرداته : الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع ، أو على البعد عما يقتضيان حبسها عنه . وصابروا : أي غالبوا الكفار بالصبر فلا يكونوا أشد صبراً منكم . ورابطوا : أي أقيموا على الجهاد ، ورابط مرابطة : إذا لازم ثغر العدو ، قال ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » .

(٢) البقرة / ١٥٥ . (٣) الزمر / ١٠ . (٤) الشورى / ٤٣ .

(٥) البقرة / ١٥٣ . واستعينوا بالصبر والصلاة : أفرد الصلاة بالذكر تعظيماً لشأنها ، وفي الحديث : كان رسول الله ﷺ : « إذا حزبه أمر - نابه ألم شديد - بادر إلى الصلاة » .

(٦) محمد / ٣١ . ولنبلونكم : اللام لام القسم ، أي والله لنختبرنكم بأن نأمركم بالجهاد وغيره من المشاق ، حتى يظهر الطائع والعاصي منكم .

١/٢٥ وعَنْ أَبِي مالِكٍ ٱلْحَارِثِ بْنِ عاصِمٍ ٱلْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « الطُّهُورُ شَطْرُ ٱلْإِيمَانِ وٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ تَمْلَا ٱلْمِيْزَانَ ، وسُبْحانَ اللهِ والْحَمْدُ لِلّٰهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - ما بَيْنَ ٱلسَّمٰوَاتِ وٱلْأَرْضِ ، وٱلْصَّلَاةُ نُوْرٌ ، وٱلْصَّدَقَةُ بُرْهانٌ ، وٱلْصَّبْرُ ضِياءٌ وٱلْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ ٱلنَّاسِ يَغْدُو فَبائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها أَوْ مُوبِقُها » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في باب الطهارة (باب فضل الطهور) .

لغة الحديث : الطهور : بالضم الفعل، وبالفتح الاسم ، وهو مشتق من الطهارة وهي لغة : النظافة حسية كانت أو معنوية ، وشرعاً : فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد . شطر : أي نصف . الإيمان : أي ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان ، فالمراد بالإيمان حقيقته ، ورجح النووي رحمه الله تعالى أن المراد بالإيمان الصلاة ، وهي لاتصح إلا بطهر ، فكان كالشطر .. سبحان الله : التسبيح تنزيه الله عن السوء والنقائص . الحمد لله : أي الثناء على الله بالجميل الاختياري والإذعان له . تملأ الميزان : الميزان هو ما تعرف به مقادير الأشياء، ويختلف باختلاف الشيء الذي يراد معرفة مقداره، كالأحجام والكثافة والقوى ... وقال بعض العلماء في ميزان الآخرة : المراد بالميزان حقيقته وهو ما توزن به الأعمال، إما بأن تجسم، أو توزن صحائفها، فتطيش بالسيئة وتثقل بالحسنة . والصلاة نور : أي أن الصلاة تضيء لصاحبها طريق الحق في الدنيا والصراط في الآخرة عند المرور عليه، وقد ورد في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر : «من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة ، وكان مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف » . والصدقة برهان : أي حجة على إيمان مؤديها . والصبر ضياء : الضياء شدة النور، أي

بالصبر تنكشف الظلمات والكربات . والقرآن حجـــة لك : إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه . أو عليك : أي يكون القرآن حجة عليك إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه ، روى البيهقي عن أبي أمامة مرفـــوعاً « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لصاحبه يوم القيامة » . فمعتقها : أي مخلصها من العذاب . أو موبقها : أي مهلكها بارتكابها المعاصي وبالبعد والحرمان .

أفـادَ الحَديثُ : • فضل الوضوء في الإسلام ، وهو شرط صحة الصـــلاة • بيان فضل الذكر • الحث على الإكثار من الصلاة ، لأنها نور يضيء للمسلم سبل السلامة في الحياة ، ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتهدي إلى الصواب ، وتصدُّ عن المهالك • الإكثار من الصدقة وهي دليـــل على صدق المؤمن وإخلاصه • بيان فضل الصبر • القرآن الكريم هو المصدر الأول لجميع الأحكام الشرعية ، وهو المرجع عند التنازع ، وهو دستور المسلم • لا بد لكل إنسان من عمل يغدو له حتى لا يترك نفسه هملاً • المسلم يسعى للاستفادة من عمره في طاعة الله عز وجل .

٢/٢٦ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَنَّ ناساً مِنَ الْأَنْصارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ ما عِنْدَهُ ، فَقالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَـــقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ : « ما يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، ومَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ . وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خَيْراً وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث : رواه البخاري في الزكاة (باب الاستعفـــاف عن المسئلة) ، ومسلم في الزكاة (باب فضل التعفف والصبر) .

لُغَةُ الحَديثِ : فلن أدخره : أي لا أجعله ذخيرة لغيركم معرضاً عنكم ، أو لا أخبئه وأمنعكم إياه . ومن يستعفف : أي من طلب العفة عن سؤال

الناس والاستشراف إلى مافي أيديهم . يعفه الله : يرزقه الله العفة ، فيصير عفيفاً قنوعاً ، وفي النهاية : قيل الاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء . يُغنه الله : أي يجعله غني النفس ولا غناء إلا غناؤه ويفتح له أبواب الرزق. أوسع من الصبر: معنى كون الصبر أوسع ؛ أن به تتسع المعارف والمشاهد والمقاصد .

أفادَ الحديثُ : • كرم النبي ﷺ وما جبل عليه من مكارم الأخلاق والسماحة • ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس • الترغيب بالقناعة والاستعفاف • تُنال مكارم الأخلاق ومعالي الصفات بالصبر .

٣/٢٧ وعَنْ أَبِي يَحْيَىٰ صُهَيْبِ بْنِ سِنانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ - ولَيْسَ ذٰلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ - إِنْ أَصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ ، وإِنْ أَصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب الزهد (باب المؤمن أمره كله خير) .

لغة الحديث : عجباً : مفعول مطلق أي : أعجب عجباً ، وتعجب ابن آدم من الشيء إذا عظم موقعه عنده، وخفي عليه سببه ، كما في النهاية . المؤمن : أي الكامل الإيمان، وهو العالم بالله الراضي بأحكامه، العامل على تصديق موعوده . السرّاء : أي : ما يسر . ضرّاء : أي ما يضر في البدن ، أو ما يتعلق به من أهل أو ولد أو مال .

أفادَ الحديثُ : • حياة المسلم بما فيها من مسرة ومضرة كلها خير وأجر له عند الله • المؤمن الكامل يشكر الله تعالى في السراء، ويصبر على الضراء، فينال خير الدارين ، أما ناقص الإيمان فإنه يتضجر ويتسخط من المصيبة، فيجتمع عليه نصيبها ووزر سخطه ، ولا يعرف للنعمة قدرها ، فلا يقوم بحقها ولا يشكرها، فتنقلب النعمة في حقه نقمة .

٤/٢٨ وعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ ٱلْكَرْبُ فَقالَتْ فاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها : وَاكَرْبَ أَبَتاهُ ! فَقالَ : « لَيْسَ عَلى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ ٱلْيَومِ » فَلَمَّا ماتَ قالَتْ : « يا أَبَتاهُ ، أَجابَ رَبًّا دَعاهُ ، يا أَبَتاهُ جَنَّةُ ٱلْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ ، يا أَبَتاهُ إِلى جِبْرِيلَ نَنْعاهُ » فَلَمَّا دُفِنَ قالَتْ فاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها : « أَطابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرابَ ؟ رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في آخر المغازي (باب مرض النبي ﷺ) .

لغة الحديث : ثقل : من شدة المرض . الكرب : الشدة من سكرات الموت، لعلو درجته وشرف رتبته ، وفي الحديث : « أشد الناس بلاء الأنبياء » . الفردوس : بستان يجمع كل ما في البساتين من شجر وزهر . جبريل : هو علم لملك كريم خصه الله تعالى بالوحي . ننعاه : أي نرفع خبر موته إليه .

أفاد الحديث : • جواز التوجع للميت عند احتضاره • يجوز ذكر الميت بصفاته بعد موته • صبر النبي عليه الصلاة والسلام على ما هو فيه من سكرات الموت وشدائده .

٥/٢٩ وعَنْ أَبِي زَيْدٍ أُسامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحِبِّهِ وَٱبْنِ حِبِّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّ ٱبْنِي قَدْ ٱحْتُضِرَ فَاشْهَدْنا ، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلامَ ويَقُولُ « إِنَّ لِلّٰهِ ما أَخَذَ ولَهُ ما أَعْطَى ، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ

ولْتَحْتَسِبْ » . فَأَرْسَلَتْ إِلَيهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّها . فَقامَ ومَعَهُ سَعْدُ ٱبْنُ عُبادَةَ ، ومُعاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وزَيْدُ بْنُ ثابِتٍ، ورِجالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَرُفِعَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ ونَفْسُهُ تَقَعْقَعُ ، فَفاضَتْ عَيْناهُ . فَقالَ سَعْدٌ : يا رَسُولَ اللهِ ما هٰذا ؟ فَقالَ : « هٰذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَها ٱللهُ تَعالَى فِي قُلُوبِ عِبادِهِ» وفِي رِوايَةٍ « قُلُوبِ مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ ، وإِنَّما يَرْحَمُ ٱللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، ومَعْنَى « تَقَعْقَعُ » : تَتَحَرَّكُ وتَضْطَرِبُ .

الحديث رواه البخـــاري في الجنائز (باب قول النبي ﷺ : يعذب الميت ببكاء أهله عليه) وفي المرضى والأيمان وغيرها من الأبواب ، ومسلم في الجنائز (باب البكاء على الميت) .

لغة الحديث : بنت النبي ﷺ : هي زينب ، كما في مصنف ابن أبي شيبة . إن ابني : المراد منه علي بن أبي العاص بن الربيع بن زينب ، وقيل : هو عبد الله بن عثمان بن رقية ، أو محسن بن علي بن فاطمة . وفي مسند أحمد أن المرسلة هي زينب ، وأن ابنها صبية هي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع . قال الحافظ في الفتح : وهذا أعني تقديره ذكراً أقرب . احتضر : أي حضرته مقدمات الموت . فاشهدنا : أي احضرنا . بأجل مسمى : أي معلوم مقـــدر ، والأجل يطلق على الجزء الأخير وعلى مجموع العمر . ولتحتسب : أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها ، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح . فأرسلت إليه تقسم: وقع في بعض روايات الحديث أنها راجعته مرتين وإنه إنما قام في ثالث مرة . ففاضت عيناه : امتلأت عيناه بالدمع ، أو كثر الدمع فيها ثم سال . الرُّحَماء : جمع رحيم ، وهو من صيغ المبالغة .

أفادَ الحديثُ : • جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر، لرجاء بركتهم ودعائهم، وجواز القسَم عليهم • استحباب إبرار المقسم • الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم • الترهيب من قسوة القلب وجمود العين • جواز البكاء من غير نوح • تسلية من نزلت به المصيبة بما يخفف من ألم مصابه .

٦/٣٠ وعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : «كانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، وكانَ لَهُ ساحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَٱبْعَثْ إِلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ وكانَ في طَرِيقِهِ - إِذَا سَلَكَ - راهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، وكانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ . فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذٰلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقالَ : ٱلْيَوْمَ أَعْلَمُ : السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَٱقْتُلْ هٰذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَماها فَقَتَلَها ومَضَى النَّاسُ . فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ . فَقالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ ، أَنْتَ ٱلْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ ما أَرَى . وإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنِ ٱبْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ . وكانَ ٱلْغُلامُ يُبْرِىءُ ٱلْأَكْمَهَ وٱلْأَبْرَصَ ، ويُداوِي

النَّاسَ مِنْ سائِرِ ٱلْأَدْوَاءِ . فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتاهُ بِهَدَايا كَثِيرَةٍ فَقالَ : ما هٰهُنا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقالَ : إِنِّي لا أَشْفِي أَحداً ، إِنَّما يَشْفِي ٱللهُ تَعالَى ، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللهِ تَعالَى دَعَوْتُ ٱللهَ فَشَفاكَ ، فَآمَنَ بِاللهِ تَعالَى فَشَفاهُ ٱللهُ تَعالَى ، فَأَتَى ٱلْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَما كانَ يَجْلِسُ . فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قالَ : رَبِّي . قالَ : أَوَ لَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلى ٱلْغُلامِ ، فَجِيءَ بِٱلْغُلامِ فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ! فَقالَ : إِنِّي لا أَشْفِي أَحَداً ، إِنَّما يَشْفِي ٱللهُ تَعالَى . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلى الرَّاهِبِ ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَعا بِٱلْمِنْشارِ ، فَوُضِعَ ٱلْمِنْشارُ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ ٱلْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فَوُضِعَ ٱلْمِنْشارُ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِٱلْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ : ٱرْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ فَقالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَٱصْعَدُوا بِهِ ٱلْجَبَلَ ، فَإِذا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وإِلَّا فَٱطْرَحُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا

بِهِ ٱلْجَبَلَ فَقالَ : اللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِما شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ ٱلْجَبَلُ ، فَسَقَطُوا وجاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ ، فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : ما فَعَلَ أَصْحابُكَ ؟ فَقالَ : كَفانِيهِمُ اللهُ تَعالَى . فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِهِ فَقالَ : ٱذْهَبُوا بِهِ فَٱحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِهِ ٱلْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وإِلا فَٱقْذِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَقالَ : اللَّهُمَّ ٱكْفِنِيهِمْ بِما شِئْتَ ، فَٱنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وجاءَ يَمْشِي إِلَى ٱلْمَلِكِ . فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ : ما فَعَلَ أَصْحابُكَ ؟ فَقالَ : كَفانِيهِمُ اللهُ تَعالَى . فَقالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ ما آمُرُكَ بِهِ . قالَ : ما هُوَ ؟ قالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ واحِدٍ ، وتَصْلُبُنِي عَلى جِذْعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بِسْمِ اللهِ رَبِّ ٱلْغُلامِ ، ثُمَّ ٱرْمِنِي فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ قَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ ٱلنَّاسَ فِي صَعِيدٍ واحِدٍ وصَلَبَهُ عَلى جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ ٱلسَّهْمَ فِي كَبِدِ ٱلْقَوْسِ ثُمَّ قالَ : بِسْمِ اللهِ رَبِّ ٱلْغُلامِ . ثُمَّ رَماهُ فَوَقَعَ ٱلسَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَماتَ . فَقالَ ٱلنَّاسُ : « آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْغُلامِ » . فَأُتِيَ ٱلْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ ، قَدْ واللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ . قَدْ آمَنَ ٱلنَّاسُ . فَأَمَرَ بِٱلْأُخْدُودِ بِأَفْواهِ ٱلسِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فِيها النِّيرانُ وقالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيها ، أَوْ قِيلَ لَهُ ٱقْتَحِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى جاءَتِ ٱمْرَأَةٌ

ومَعَها صَبِيٌّ لَها ، فَتَقاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيها ، فَقالَ لَها ٱلْغُلامُ : يا أُمَّهْ ٱصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلى ٱلْحَقِّ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

« ذِرْوَةُ ٱلْجَبَل » أَعْلاهُ وهِيَ « بِكَسْرِ الذَّالِ ٱلْمُعْجَمَةِ وضَمِّهـا » و « ٱلْقُرْقُورُ » : بِضَمِّ ٱلْقافَيْنِ نَوْعٌ مِنَ ٱلسُّفُنِ . و « الصَّعِيدُ » هُنا : ٱلْأَرْضُ ٱلْبارِزَةُ . و « ٱلْأُخْدُودُ » الشُّقُوقُ فِي الْأَرْضِ كالنَّهْرِ ٱلصَّغِيرِ . و « أُضْرِمَ » أُوقِدَ « وانْكَفَأَتْ » أَيْ : ٱنْقَلَبَتْ . و « تَقاعَسَتْ » : تَوَقَّفَتْ وجَبُنَتْ .

الحديث : رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) .

لغة الحديث : راهب : هو المتعبد من النصارى . حبسني : أي منعني أهلي . إذ أتى على دابة عظيمة : عند الترمذي : قال بعضهم : إن تلك الدابة كانت أسداً . الأكمه : الذي ولد أعمى . الأدواء : جمع داء ، أي الأمراض والأسقام . في مفرق رأسه : أي في مكان فرق شعره . فرجف : أي تحرك الجبل واضطرب بهم . جذع : بكسر الجيم وسكون الذال : أي عود من أعواد النخل ، وجمعه جذوع . في كبد القوس : أي في وسطه ، وقال النووي : وكبد القوس مقبضها عند الرمي . في صُدْغه : بضم الصاد وسكون الدال ، هو ما بين العين إلى شحمة الأذن . بأفواه السكك : بأبواب الطرق جمع سكة . فخدَّت : أي شقت الأخاديد . فأقحموه : أي ألقوه كرهاً .

أفاد الحديث : • إثبات كرامات الأولياء • جواز الكذب في الحرب ونحوها ، وفي إنقاذ النفس من الهلاك • المؤمن يُمتحن في صدق إيمانه والثبات على قول الحق ، وإن أدى إلى إزهاق نفسه • التضحية في سبيل الدعوة إلى

الله تعالى وإظهار الحق • إن الله تعالى يظهر الحق وينصر أهله ، ويهزم الباطل وحزبه • في الحديث إشارة إلى أنه يجوز أن يضحي الإنسان بنفسه إذا كان في ذلك مصلحة دينية عامة • وفي هذه القصة إثبات لإعجاز القرآن ، لأن فيها إخباراً عن المغيبات التي نسيها التاريخ؛ إذ وردت في حق أصحاب الأخدود والذين قال الله تعالى فيهم : (قُتل أصحاب الأخدود) • استعمال المربي القصص في التوجيه ، لأن فيه تأثيراً قد لا يكون بالموعظة المباشرة .

٧/٣١ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلى اْمْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقالَ : « اْتَّقِي اْللهَ واْصْبِرِي » فَقالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، ولَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَها : إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ . فَقالَ : « إِنَّما اْلصَّبْرُ عِنْدَ اْلصَّدْمَةِ اْلأُوْلَى » . وفِي رِوايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « تَبْكِي عَلى صَبِيٍّ لَها » .

الحديث : رواه البخاري في الجنائز (باب زيارة القبور) وفي الأحكام ، ومسلم في الجنائز (باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى) .

لغة الحديث : فقال لها اتقي الله واصبري : قال القرطبي : الظاهر أنها كان في بكائها قدر زائد من نوح وغيره . إليك عني : اسم فعل بمعنى تنح وأبعد .

أفاد الحديث : • أن عدم الصبر ينافي التقوى • الصبر الذي يحمد عليه صاحبه، ما كان عند مفاجأة المصيبة ، بخلاف ما بعد ذلك ، فإنه على الأيام يُنسى • تواضع النبي ﷺ ورفقه بالجاهل • ملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • جواز زيارة القبور للنساء ، لأنه لو كان منكراً لنهاها النبي ﷺ .

٨/٣٢ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ:

« يَقُولُ اللهُ تَعالَى : ما لِعَبْدِي ٱلْمُؤْمِنِ عِنْـــدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ ٱحْتَسَبَهُ إِلَّا ٱلْجَنَّةَ » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث : رواه البخاري في كتاب الرقاق (باب العمل الذي يُبتغى به وجه الله تعالى) .

لغة الحديث : صفيّه : حبيبه، لأنه يصافيه وده ويخلصه محبته . ثم احتسبه : بأن يدخره عند الله تعالى ، وذلك ينبىء عن الصبر والتسليم .

أفاد الحديث : • أن من أعظم المصائب التي تنزل بالإنسان هي فقدان أحبته • وأن الكافر مهما عمل من عمل صالح فليس له بهعنـــد الله شيء ، لعدم الإيمان .

٩/٣٣ وعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّها سأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ ، فَأَخْبَرَها أَنَّهُ كانَ عَذاباً يَبْعَثُهُ اللهُ تَعالَى عَلى مَنْ يَشاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ تَعالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صابِراً مُحْتَسِباً ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلَّا مـــا كَتَبَ اللهُ لَهُ ، إِلَّا كانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث : رواه البخاري في كتاب الطب (باب أجر الصابر في الطاعون).

لغة الحديث : الطاعون : حقيقته كما يؤخذ من الأحاديث : بثر مؤلم يخرج غالباً في الآباط، مع لهيب واسوداد حواليه وخفقان القلب والقيء . على من يشاء : أي من كافر أو عاص بارتكاب كبيرة ، أو إصرار على صغيرة . محتسباً : راجياً للأجر والثواب من الله تعالى .

أفاد الحديث : • قال ابن علان : إذا كان قصد المؤمن ثواب الله ورجاء موعوده ، وعارفاً أنه لو وقع به الطاعون فبتقدير الله ، وإن صرف عنه فكذلك،

وهو غير متضجر لو وقع به ، معتمداً على ربه في حال صحته وسقمه ؛ كان له أجر الشهيد • الصابر في الطاعون ، أو أي مرض يشبهه، يأمن من فتّان القبر • على الإنسان إذا وقع الطاعون في بلد هو فيها ألا يخرج منها ، كي لاينقل العدوى إلى غيرها من البلاد • لايقتصر أجر الشهيد على من قتل في الجهاد ، وإنما يشمل أناساً كثيرين منهم: المطعون والغريق والنفساء و ...

١٠/٣٤ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قالَ : إِذَا ٱبْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيْبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُما ٱلْجَنَّةَ » يُرِيدُ عَيْنَيْهِ ، رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في كتاب المرضى (باب فضل من ذهب بصره)

لغة الحديث : إذا ابتليت عبدي : أي عاملته معاملة المبتلي، أي المختبر .

أفاد الحديث : • خصّ النبي ﷺ العينين بهذا الجزاء، لأنهما أحب أعضاء الانسان إليه • الجنه أعظم العوض، لأن التمتع بالبصر يفنى بفناء الدنيا ، وأما التمتع بالجنة فباق دائماً .

١١/٣٥ وعَنْ عَطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قالَ: قالَ لِي ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: أَلاَ أُرِيكَ ٱمْرَأَةً مِنْ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى . قالَ : هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقالَتْ : إِنِّي أُصْرَعُ وإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَٱدْعُ اللهُ تَعالَى لِي قالَ : « إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولَكِ ٱلْجَنَّةُ ، وإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ تَعالَى أَنْ يُعافِيَكِ » فَقالَتْ : أَصْبِرُ . فَقالَتْ : إِنِّي أَتَكَشَّفُ ، فَٱدْعُ اللهَ أَلَّا أَتَكَشَّفَ فَدَعا لَها » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في المرضى (باب فضل من يصرع من الريح) ، ومسلم في البر (باب ثواب المؤمن فيما يصيبه) .

لغة الحديث : **الصرع** : قال في القاموس : علة تمنع الأعضاء النفيسة من أفعالها منعاً غير تام ، وسببه : سدة تعرض في بطون الدماغ وفي مجاري الأعصاب المحركة للأعضاء من خلط غليظ أو لزج كثير، فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعياً فتتشنج الأعضاء ، وفي فتح الباري: أن الذي كان بالمرأة من صرع الجن لا من صرع الخلط . **أتكشف** : من التكشف ، وأنكشف من الانكشاف ، والمراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهي لاتشعر .

أفاد الحديث : • الصبر على البلاء في الدنيا يورث الجنة • علاج الأمراض بالدعاء والالتجاء الصادق الى الله ناجع مع تعاطي الدواء • الأخذ بالعزيمة أفضل من الأخذ بالرخصه إذا وجد الإنسان في نفسه قدرة على تحملها وكان له فيها مزيد من الأجر .

١٢/٣٦ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث : رواه البخاري في الأنبياء (باب ماذكر عن بني إسرائيل) وفي المرتدين ، ومسلم في الجهاد (باب غزوة أحد) .

لغة الحديث : يحكي نبياً : ورد عن عبيد بن عمرو الليثي ؛ أن هذا النبي هو نوح عليه السلام ، وقال القرطبي : إن النبي ﷺ هو الحاكي والمحكي .

أفاد الحديث : • صبر الأنبياء وتحملهم الأذى في سبيل تبليغ دعوتهم للناس • من أخلاق الأنبياء مقابلة الجهل بالغفران والمسامحة • عدم معاملة الجاهلين بمثل أعمالهم • التأسي بأخلاق النبي ﷺ في تحمل الأذى، فقد شج وجهه وسال الدم منه يوم أحد، ولم يزد على أن قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون ».

١٣/٣٧ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال : « ما يُصِيبُ ٱلْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشاكُها إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِها مِنْ خَطَايَاهُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . و « ٱلْوَصَبُ » : ٱلْمَرَضُ .

الحديث : رواه البخاري في المرضى (باب ماجاء في كفارة المرض وقول الله تعالى : من يعمل سوءاً يُجز بـــه) ومسلم في البر (باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك ، حتى الشوكة يشاكها) .

لغة الحديث : من نصب : من تعب . ولا أذى : هو كل مالا يلائم النفس . ولا غم : هو أبلغ من الحزن يشتد بمن قام به، حتى يصير بحيث يغمى عليه . يشاكها : أي تشكه وتدخل في جسده . من خطاياه : بعض خطاياه ، لأن بعض الذنوب لاتُكفَّر بذلك ، كحقوق الناس والكبائر .

أفاد الحديث : • الأمراض وغيرها من المؤذيات التي تصيب المؤمن تطهره من الذنوب • المصاب من حرم الثواب .

١٤/٣٨ وعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وهُوَ يُوعَكُ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً . قالَ : « أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ » قُلْتُ : ذٰلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ ؟ قالَ « أَجَلْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ . ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ـ شَوْكَةٌ فَما فَوْقَها ـ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِها سَيِّئاتِهِ ، وحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . و « ٱلْوَعْكُ » : مَغْث ٱلْحُمَّى ، وقِيلَ : ٱلْحُمَّى .

الحديث : رواه البخـــاري في المرضى (باب شدة المرض) ومسلم في البر (باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك) . . وأخرج ابن سعد في الطبقات، والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه، والحاكم،وصححه البيهقي في الشعب عن أبي سعيد قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو محموم ، فوضعت يدي فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى فوق القطيفة ، فقلت ماأشد حمّاك يارسول الله ، قال : « إنا كذلك معشر الأنبياء يُضاعف علينا الوجـــع ليضاعف الأجر » .

لغة الحديث : أجل : جواب مثل نعم، قال الأخفش : إلاأنه أحسن من نعم في التصديق، ونعم أحسن منه في الاستفهام . المغث : إصابة الحمى ، وأصله الضرب ليس بالشديد .

أفاد الحديث :• حصول الثواب على أنواع البلاء مع الصبر • « أشدكم بلاء الأنبياء » لأنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب، ولأن الله تعالى جعل منهم قدوة وأسوة للناس .

١٥/٣٩ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ » ؛ رَوَاهُ البُخـــارِيُّ . وضَبَطُوا « يُصَبْ » : بِفَتْحِ الصَّادِ وكَسْرِها .

الحديث رواه البخاري في المرضى (باب ماجاء في كفارة المرض ، وقول الله تعالى : من يعمل سوءاً يجز به).

لغة الحديث : يُصب منه : أي يوجه إليه مصيبة ، ويصيبه بمصيبة، إما في بدنه أو ماله أو محبوبه .

أفاد الحديث : • المؤمن لايخلو من علة أو قلة أو ذلة، وإنما كان مايصيب منه خيراً ، حالاً لما فيه من اللجوء إلى الله تعالى ، ومآلاً لما فيه من تكفير السيئات.

١٦/٤٠ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحدُكُمُ ٱلْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كانَ لا بُـدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِـنِي ما كانَتِ ٱلْحَياةُ خَيْراً لِي ، وتَوَفَّنِي إِذَا كانَتِ ٱلْوَفاةُ خَيْراً لِي » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في المرضى (باب تمني المريض الموت) والدعوات ، ومسلم في الذكر (باب تمني كراهة الموت لضر نزل به) .

لغة الحديث : الضر : ما ينزل بالإنسان من سوء . اللهم : أصله يا الله ، والميم عوض عن ياء النداء . ما كانت : (ما) هنا مصدرية ظرفية .

أفاد الحديث : • التفويض والتسليم لله تعالى في اختيار الحياة أو الموت • لاكراهة في تمني الموت شوقاً لله ، أو شهادة في سبيل الله أو ليدفن في بلد شريف ، أو لخوف فتنة في الدين .

١٧/٤١ وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ خَبَّابِ بْنِ ٱلْأَرَتِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : شَكَوْنا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً في ظِلِّ ٱلْكَعْبَةِ فَقُلْنا : أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنا ، أَلاَ تَدْعُو لَنا ؟ فَقالَ : « قَدْ كانَ مَنْ قَبْلَـكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ في ٱلْأَرْضِ ، فَيُجْعَلُ فِيها ، ثُمَّ يُؤْتَى بِٱلْمِنْشارِ فَيُوضَعُ عَلى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ ، ويُمْشَطُ بِأَمْشاطِ ٱلْحَدِيدِ ـ ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ ـ ما يَصُدُّهُ ذٰلِكَ عَنْ دِينِهِ ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعـاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخافُ إِلَّا اللهَ والذِّئْبَ عَلى غَنَمِهِ ، ولٰكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ . وفي رِوايَةٍ : « وهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وقَدْ لَقِينا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ شِدَّةً » .

الحديث رواه البخاري في كتاب علامات النبوة (باب علامات النبوة في الاسلام (وباب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة) .

لغة الحديث : البردة : الشملة المخططة ، وقيل : كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب، وجمعها بُرُد . متوسد : أي جاعل البردة تحت رأسه . مايصدّه : ما يمنعه . هـذا الأمر : دين الاسلام . الراكب : المسافر ، وجرى التقييد بالراكب على الغالب .

أفاد الحديث : • مدح الصبر على العذاب في الدين • تحقق ما أخبر به النبي ﷺ من انتشار الإسلام ، واستتباب الأمن والسلام ، من دلائل النبوة وعلامات صدقها • صبر أصحاب النبي ﷺ على العذاب بقلوب راضية وأنفس مطمئنة ، وشكواهم ليست عن تضجر وتبرم ، وإنما لأنهم رأوا في السلام التفرغ للعبادة والتوجه إلى كمال السعادة • التأسي بالصالحين الذين امتحنوا في دينهم فصبروا • العداء ضد الإيمان قديم ويجب على المؤمنين في كل زمان أن يتحملوا الأذى ويصبروا على الاضطهاد • الإسلام دين الأمن والسلام .

١٨/٤٢ وعَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ناساً في ٱلْقِسْمَةِ ، فَأَعْطَى ٱلْأَقْرَعَ بْنَ حابِسٍ مِئَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذٰلِكَ ، وأَعْطَى ناساً مِنْ أَشْرافِ ٱلْعَرَبِ وآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ في ٱلْقِسْمَةِ . فَقالَ رَجُلٌ : وٱللهِ إِنَّ هٰذِهِ قِسْمَةٌ ما عُدِلَ فِيها ، ومـا أُرِيدَ فِيها وَجْهُ اللهِ . فَقُلْتُ : وٱللهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِما قـالَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كانَ كَٱلصِّرْفِ . ثُمَّ قالَ : فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ ٱللهُ وَرَسُولُهُ ؟ ثُمَّ قالَ : يَرْحَمُ ٱللهُ مُوسَى ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا

فَصَبَرَ . فَقُلْتُ : لا جَرَمَ لا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَها حَدِيثاً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

وقَوْلُهُ «كالصَّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : وهُو صِبْغٌ أَحْمَرُ .

الحديث رواه البخاري في أبواب الخمس وفي الأنبياء وفي الدعوات وفي الأدب (باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه) ورواه مسلم في الزكاة (باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ، وتصبُّر من قوي إيمانه) .

لغة الحديث : حُنين : واد بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً . ناساً : من المؤلفة قلوبهم ، ومن الطلقاء ، ومن رؤساء العرب يتألفهم . في القسمة : أي في قسمة غنائم قبيلة هوازن . عيينة بن حصن : كان من المؤلفة قلوبهم أسلم قبل الفتح وشهد حنيناً والطائف ، وارتد بعد وفاة الرسول ، ثم رجع إلى الإسلام . الأقرع بن حابس : لقب بالأقرع لقرع كان في رأسه ، وهو من سادات قبيلة تميم ، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام . آثرهم : أعطاهم عطايا نفيسة . يومئذ : أي يوم حنين . فقال رجل : هذا لفظ مسلم ، وعند البخاري : « فقال رجل من الأنصار : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله » وهذا الرجل هو ذو الخويصرة ، وإنما نسب إلى الأنصار حلفاً أو ولاء . فتغيَّر وجهه حتى كان كالصرف : هذا لفظ رواية مسلم ، وفي رواية للبخاري في باب بدء الخلق « فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه » . لاجرم : حقاً .

أفاد الحديث : • النصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين • الصفح عن عثرات اللئام سنة قديمة في الأنبياء • حكمة النبي ﷺ في ائتلاف القلوب ، وسعة حلمه • تأسي الرسول بإخوانه الأنبياء تحقيقاً لقوله تعالى : « فبهداهم اقتده » • الرسول بشر يتأثر بما يتأثر به البشر من غضب وفرح ونحو ذلك .

١٩/٤٣ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيا ، وإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » . وقالَ

النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وإِنَّ اللهَ تَعالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحديث: رواه الترمذي في كتاب الزهد (باب ما جاء في الصبر على البلاء) رقم /٢٣٩٨/

لغة الحديث: يوافي: يأتي بذنبه حاملاً له على كاهله. فمن رضي: أي قبل ولم يتضجر.

أفاد الحديث: • يُبتلى الناس على حسب دينهم • الصبر على المصائب والأمراض تطهير للذنوب • من علامات حب الله للعبد الصالح ابتلاؤه • على المؤمن أن يكون راضياً بما ابتلي به ولا ييأس ويسخط منه • من علامات تكفير الذنوب الصبر على البلاء.

٢٠/٤٤ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَقُبِضَ الصَّبِيُّ: فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قالَ: ما فَعَلَ ابْنِي؟ قالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ ما كانَ، فَقَرَّبَتْ لَهُ الْعَشاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصابَ مِنْها فَلَمَّا فَرَغَ قالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ. فَقالَ: «أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟» قالَ نَعَمْ. قالَ اللَّهُمَّ بارِكْ لَهُما، فَوَلَدَتْ غُلاماً. فَقالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ وبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ. فَقالَ: «أَمَعَهُ شَيْءٌ؟» قالَ: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَها النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَها، ثُمَّ أَخَذَها مِنْ فِيهِ فَجَعَلَها فِي فِي

الصَّبِيِّ ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخارِيِّ: قالَ ٱبْنُ عُيَيْنَةَ : فَقالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْأَنْصارِ : فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا ٱلْقُرْآنَ ، يَعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِاللهِ ٱلْمَوْلُودِ. وفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : ماتَ ٱبْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقالَتْ لِأَهْلِها : لا تُحَدِّثُوا أَبا طَلْحَةَ بِٱبْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنا أُحَدِّثُهُ ، فَجاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشاءً فَأَكَلَ وشَرِبَ ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ ما كانَتْ تَصَنَعُ قَبْلَ ذٰلِكَ فَوَقَعَ بِها ، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وأَصابَ مِنْها قالَتْ : يا أَبا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعارُوا عارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ ، فَطَلَبُوا عارِيَتَهُمْ ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ ؟ قالَ : لا ، فَقالَتْ : فَٱحْتَسِبِ ٱبْنَكَ ، قالَ : فَغَضِبَ ثُمَّ قالَ : تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَ تَلَطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِٱبْنِي ، فَٱنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِما كانَ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « بارَكَ اللهُ لَكُما فِي لَيْلَتِكُما » قالَ : فَحَمَلَتْ ، (قالَ) : وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وهِيَ مَعَهُ ، وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى ٱلْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لا يَطْرُقُها طُرُوقاً فَدَنَوْا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ فَضَرَبَها ٱلْمَخاضُ فَٱحْتَبَسَ عَلَيْها أَبُو طَلْحَةَ ، وٱنْطَلَقَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ (قالَ) يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ ، وأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ ، وقَدِ ٱحْتَبَسْتُ بِما تَرَى ! تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يا أَبا طَلْحَةَ ، ما أَجِدُ ٱلَّذِي كُنْتُ

أجِدُ ، أنْطَلِقْ . فَانْطَلَقْنا وضَرَبَها المَخاضُ حِينَ قَدِما فَوَلَدَتْ غُلاماً . فَقالَتْ لِي أُمِّي : يا أَنسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُوَ بِهِ عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . وذَكَرَ تَمامَ الْحَدِيث .

الحديث رواه البخاري في الجنائز (باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة) وفي العقيقة (باب تسمية المولود) ورواه مسلم في الأدب (باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته) وفي فضائل الصحابة (باب من فضائل أبي طلحة الأنصاري) .

لغة الحديث : أسكن ما كان : أي أهدأ أوقاته . أم سليم : كانت زوجة مالك بن النضر في الجاهلية وهو والد أنس ، فلما جاء الإسلام أسلمت وعرضت على زوجها الإسلام ، فغاضبها وخرج إلى الشام، فهلك ، فتزوجت بعده أبا طلحة ، والصبي الذي قُبض هو من ولد أبي طلحة ، وأخو أنس بن مالك لأمه رضي الله عنهم . أصاب منها : أي كان بينه وبينها ما يكون بين الرجل وزوجته . واروا الصبي : أي واروه بالدفن . أعرستم : المراد منه الوطء . حنكه : في الصحاح: حنكت الصبي إذا مضغت تمراً أو غيره ثم دلكته بحنكه . ابن عيينة : هو سفيان بن عيينة، قرين الإمام مالك، من تابع التابعين . تصنعت : أي تزينت لزوجها . تلطخت : أي تقذرت بالجماع . لايطرقها طروقاً : لايدخلها ليلا . فضربها المخاض : وجع الطلق والولادة .

أفاد الحديث : • في الحديث مثال واقعي للمرأة المسلمة والزوجة الصالحة في عقلها الكبير وذكائها الوقاد • صبر أم سليم على موت ولدها مثال يحتذى للنساء • التلطف في الإخبار عن وفاة أو مصيبة • إيثار إرضاء الزوج على حزنه ، وهذا من وفاء الزوجة لزوجها • جهاد المرأة والإسهام في أجر المجاهدين • حب الصحابة للنبي ﷺ والحرص على ملازمته واستشارته والتبرك بصحبته • من السنة أن يخفف كل من الزوجين مصيبة الآخر، والتزيُّن لبعضهما، لدوام

العشرة وتمكين المودة • اختيار الأسماء الكريمة للأبناء، وأفضل الأسماء (عبد الله)
• أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه .

٢١/٤٥ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « والصُّرَعَةُ » بِضَمِّ الصَّادِ وفَتْحِ الرَّاءِ ، وأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيراً .

الحديث : رواه البخاري في الأدب (باب الحذر من الغضب) ومسلم في البر (باب فضل من يملك نفسه عند الغضب) .

أفكار الحديث : • تغيير الإسلام لمفهوم القوة الجاهلي إلى معنى خلقي واجتماعي نبيل • مجاهدة النفس وامتلاك زمامها أشد من مجاهدة العدو • الابتعاد عن الغضب، لما فيه من الأضرار الجسمية والنفسية والاجتماعية .

٢٢/٤٦ وعَنْ سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « كُنْتُ جالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ورَجُلانِ يَسْتَبَّانِ ، وأَحَدُهُما قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ ، وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ . فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قالَها لَذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ ، لَوْ قالَ : أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ ما يَجِدُ . فَقالُوا لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث : رواه البخاري في بدء الخلق (باب صفة إبليس وجنوده) والأدب (باب ما ينهى من السباب واللعن) و (باب الحذر من الغضب) ومسلم في البر (باب من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب) .

لغة الحديث : يستبّان : أي يسب كل منهما صاحبه . أوداجه : في النهاية : الأوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح، واحدها ودج . كلمة : المراد منها معناها اللغوي وهي الجمل المفيدة . أعوذ : ألجأ وأعتصم . الشيطان : العاتي المتمرد ، من شاط بمعنى احترق ، أو من شطن بمعنى بعد . الرجيم : فعيل بمعنى مفعول ، المبعد من رحمة الله .

أفاد الحديث : • الحديث مستمد من قوله تعالى: (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) الأعراف / ٢٠٠ / • الغضب يثيره الشيطان ، لما يترتب عليه من الضرر في الدين والدنيا ، ولذلك كان قطع سببه وهو وسوسة الشيطان بالاستعاذة • حرص الرسول ﷺ على الإرشاد والتوجيه في أية مناسبة من المناسبات .

٢٣/٤٧ وعَنْ مُعاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظاً ، وهُوَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنْفِذَهُ ، دَعاهُ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى عَلى رُؤُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ما شاءَ » رَواهُ أَبُو داوُدَ ، والتِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الحديث رواه أبو داود في الأدب (باب من كظم غيظاً) والترمذي في أبواب صفة القيامة (باب فضل الرفق بالضعيف والوالدين والمملوك) رقم / ٢٤٩٥ / .

لغة الحديث : كظم غيظاً : تجرع الغيظ واحتمل سببه وصبر عليه، وأصل الكظم : الحبس والمنع من الظهور . الحور العين : الحور جمع حوراء ، وهي شديدة البياض في العين وشديدة السواد ، والعين : جمع عيناء ، وهي واسعة العين ، والمراد هنا الحسان من النساء .

أفاد الحديث : • الحث على كظم الغيظ • تعتبر قيمة العفو عند القدرة على الانتصاف .

٢٤ / ٤٨ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلاً قالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي . قالَ : « لا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِراراً ، قالَ : « لا تَغْضَبْ » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في الأدب (باب الحذر من الغضب)

لغة الحديث : أوصني : توصية تجمع خير الدنيا والآخرة ، وفي رواية : « أخبرني بعمل يدخلني الجنة ولا تكثر علي لعلي أعقله » .

أفاد الحديث : • عظم مفسدة الغضب وما ينشأ عنه • ذم الغضب والبعد عن أسبابه • الغضب المذموم ما كان في أمور الدنيا ، والغضب المحمود ما كان لله ولنصرة دينه ، وكان عليه الصلاة والسلام يغضب إذا انتهكت حرمات الله .

٢٥ / ٤٩ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ما يَزَالُ ٱلْبَلاءُ بِٱلْمُؤْمِنِ وٱلْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعالَى وما عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد (باب ماجاء في الصبر على البلاء) رقم / ٢٤٠١ / .

لغة الحديث : البلاء : الاختبار ، سواء كان ذلك بالخير أم بالشر ، إلا أنه غلب على استعماله بالمصاعب .

أفاد الحديث : • المؤمن معرض للاختبار بألوان من البلاء • بشارة المؤمن المبتلى ، قال تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) . البقرة/١٥٥ .

٢٦ / ٥٠ وعَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ عَلَى ٱبْنِ أَخِيهِ ٱلْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ ، وكانَ مِنَ النَّفَرِ ٱلَّذِينَ

يدنيهم عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكانَ ٱلْقُرَّاءُ أَصحابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ ومُشاوَرَتِهِ - كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّاناً - فَقالَ عُيَيْنَةُ لِٱبْنِ أَخِيهِ : بنَ أَخِي ، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هٰذَا ٱلْأَمِيرِ فَٱسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ ، فَٱسْتَأْذَنَ ذِنَ لَهُ عُمَرُ . فَلَمَّا دَخَلَ قالَ : هِـــيْ يا ٱبْنَ ٱلْخَطابِ ، فَوَاللهِ ما تُعْطِينا ٱلْجَزْلَ ، ولَا تَحْكُمُ فِينا بِٱلْعَدْلِ ! فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ . فَقالَ لَهُ ٱلْحُرُّ : يا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللهَ تَعالَى قالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : (خُـذِ ٱلْعَفْوَ وأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجاهِلِينَ) . وَإِنَّ هٰذَا مِنَ ٱلْجَاهِلِينَ ، واللهِ ما جاوَزَهـا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا ، وكانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتابِ اللهِ تَعالَى ، رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة الأعراف (باب خذ العفو وأمر بالعرف) والاعتصام (باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) .

لغة الحديث : عيينة بن حصن : الفزاري ، أسلم يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة ، ارتد وأتي به أسيراً إلى الصديق فأسلم فأطلقه ، فقدم ابن حصن المدينة ونزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن الفزاري ، وكان عمر رضي الله عنه يدني الحر ، لأنه من الفقهاء القراء . النفر : مادون العشرة من الرجال ، وجمعه أنفار . القراء : جمع قارىء وهو القارىء للقرآن ، المتفهم لمعانيه . أصحاب مجلس عمر : أي الملازمين لمجلسه . كهولاً : الكهل من الرجال : من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين ، وقيل من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين . لك وجه : أي لك جاه ومنزلة . هِي يا ابن الخطاب : بكسر الهاء ، كلمة تهديد ، وقيل: هي ضمير وثمّ محذوف أي هي داهية ، وفي البخاري : هيه ، بهاء السكت في آخره ، وفي أخرى منه إيه بالهمز بدل الهاء ، قال في النهاية: وهما بمعنى ، فمعناهما بلا تنوين : زدني من الحديث المعهود ، وبالتنوين مـن

أي حديث كان . الجزل : العطاء الكثير . همّ . أراد . خذ العفو : ماعفا وتيسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها . وأمر بالعرف : أي المعروف في الشرع . أعرض عن الجاهلين : أي لا تقابلهم بسفههم والآية / ١٩٧ من سورة الأعراف . وقافاً عند كتاب الله : كناية عن امتثاله الآية والاهتمام بأمرها، وعدم تجاوز ذلك .

أفادَ الحديثُ : • منزلة قراء القرآن وهم العلماء العاملون بأحكامه ، لا المتكسبون بتلاوته في المآتم والأفراح • توجيه للحاكم أن يتخذ بطانة خير يجالسهم ويستشيرهم .

٢٧/٥١ وعَنْ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قالَ : « إِنَّها سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمورٌ تُنْكِرُونَها ! قالُوا : يا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَأْمُرُنا ؟ قالَ : تُؤَدُّونَ ٱلْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، وتَسْأَلُونَ اللهَ ٱلَّذِي لَكُمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « والأَثَرَةُ » : ٱلِانْفِرَادُ بالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ .

الحديث : رواه البخاري في كتاب الأنبياء (باب علامات النبوة في الاسلام) وفي الفتن (باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها) ورواه مسلم في كتاب الإمارة (باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، الأول فالأول)

لغة الحديث : تؤدون : أي تعطون .

أفادَ الحديثُ : • الصبر على المقدور والرضا بالقضاء حلوه ومره • التسليم لمراد الرب العليم الحكيم • الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً ، فيُعطى حقه من الطاعة ولا يُخرج عليه ولا يخلع . بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ، ودفع شره وإصلاحه

٢٨/٥٢ وعَنْ أَبِي يَحْيَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً مِنَ ٱلْأَنْصار قالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَما ٱسْتَعْمَلْتَ فُلاناً ؟

فَقالَ : « إِنَّكُمْ ستَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلى الْحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، «وأُسَيْدٌ» بِضَمِّ الْهَمْزَةِ . «وحُضَيْرٌ» : بِحاءٍ مُهْمَلَةٍ مَضْمُومَةٍ وضادٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، واللهُ أَعْلَمُ .

الحديث رواه البخاري في الفتن (باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها) والجنائز والخمس والمناقب والمغازي والرقاق ، ومسلم في الإمارة (باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم) .

لغة الحديث : ألا تستعملني : أداة عرض . تستعملني : أي تصيّرني عاملاً .

الحوض : هو الحوض المورود الذي خُصَّ بـه نبينا محمد ﷺ في الجنة .

فلاناً : لفظ فلان يكنى به عن اسم سمي به المحدَّث عنه خاص بالناس غالباً .

أفاد الحديث : • معجزة النبي ﷺ في الإخبار عن ماسيقع في المستقبل .

• الأفضل عدم طلب الولاية إلا إذا كان أهلاً لها وليس من أحد ينافسه عليها .

• بعد نظره ﷺ وعدم ترشيحه أحداً لولاية لايكون كفؤاً لها .

الصبر عند فساد الأمور وعدم تولية أصحاب الكفاءة .

٢٩/٥٣ وعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيها الْعَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقالَ : يا أَيُّها النَّاسُ ، لا تَتَمَنَّوا لِقاءَ الْعَدُوِّ ، واسْأَلُوا اللهَ الْعافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، واعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ » ثُمَّ قالَ النَّبِيُّ ﷺ « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ ومُجْرِيَ السَّحابِ ، وهَازِمَ الْأَحْزابِ ، اهْزِمْهُمْ وانْصُرْنا عَلَيْهِمْ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وباللهِ التَّوْفِيقُ .

الحديث رواه البخاري في الجهاد (باب الجنة تحت بارقة السيوف) و (باب لاتتمنوا لقاء العدو) ورواه مسلم في الجهاد (باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) .

لغة الحديث : في بعض أيامه : أي أيام غزواته وحروبه . انتظر : أي أخّر قتالهم . حتى إذا مالت الشمس : أي مالت عن كبد السماء إلى جهة الغروب وهو وقت الزوال . واسألوا الله العافية : قال النووي رحمه الله تعالى : كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية ، وهي من الألفاظ المتناولة لدفع جميع الآفات في البدن في الظاهر والباطن في الدين والدنيا والآخرة . واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف : قال القرطبي : هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة مع جزالة اللفظ وعذوبته وحسن استعارته ، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ المقبولة الوجيزة بحيث يعجز الفصحاء اللسن البلغاء عن إيراد مثله، وأن يأتوا بنظيره وشكله . فإنه استفيد منه مع وجازته الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاعتماد عليها ، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم ببعض حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو ويرتفع عليهم ، حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها ، ويعني أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخل الجنة . الأحزاب: الطوائف من الكفار الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ .

أفاد الحديث : • الاستعداد للجهاد ، ويشمل إعداد القوة والخروج للقاء العدو ، واللجوء إلى الله تعالى بالدعاء بعد ترك المعاصي والتوبة الصادقة • مشروعية الدعاء حال الكرب والشدائد • رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته • نهي النبي ﷺ عن تمني لقاء العدو • عدم الاعتماد على القوة المادية وحدها وترك الحذر والحيطة والحزم • الحث على الصبر وهو أهم عناصر الجهاد ومقوماته .

٤ - بَابُ الصِّدْقِ

قالَ اللهُ تَعالَى (يا أَيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)[١] وقالَ تَعالَى (والصَّادِقِينَ والصَّادِقاتِ)[٢] وقالَ تَعالَى (فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ)[٣].

---

(١) التوبة / ١١٩ . (٢) الأحزاب / ٣٥ . (٣) محمد / ٢١ .

الراجح عند العلماء أن الصدق : مطابقة الخبر للواقع ، والكذب عكسه ، وقال بعض العلماء : الصدق استواء الظاهر والباطن والسر والعلانية ، ويمكن أن نقول : إن الصدق هو موافقة العمل لمقتضى أوامر الشرع .

١/٥٤ وأَمَّا ٱلْأَحادِيثُ - فَٱلْأَوَّلُ عَنِ ٱبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى ٱلْبِرِّ وإِنَّ ٱلْبِرَّ يَهْدِي إِلَى ٱلْجَنَّةِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، وإِنَّ ٱلْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى ٱلْفُجُورِ ، وإِنَّ ٱلْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ كَذَّاباً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في الأدب (باب قول الله تعالى : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وما ينهى عن الكذب) ومسلم في البر (باب تحريم النميمة) و(باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) .

لغة الحديث : البر : بكسر الباء : الخير وبَرَّ الرجل يَبَرُّ بِرّاً فهو بَرٌّ وبارٌّ ، أي صادق أو تقي ، قاله في المصباح . ويقال: البر : اسم جامع لكل خير . يهدي : يرشد ويوصل . صدِّيقاً : من أبنية المبالغة وهو من يتكرر منه

مدق حتى يصير سجية له وخلقاً . الفجور: فَجَرَ الرجل يفجُر فجوراً : ق، قاله في المصباح، والفجور : الأعمال : السيئة . كذاباً : من أبنية المبالغة هو من تكرر منه الكذب حتى يصير سجية له وخلقاً . ومعنى يكتب عند الله صديقاً : يحكم له بذلك ويستحق الوصف به ، ويستحق ثواب الصادقين . وكذلك يكتب عند الله كذاباً : أي يحكم له بالكذب ويستحق أن يوصف به ، ويستحق عقاب الكذابين .

أفَادَ الحَدِيثُ : • الترغيب في الصدق لأنه سبب كل خير، والتحذير من الكذب لأنه سبب كل شر ، وأن من اشتهر بشيء صح أن يوصف بـــه • الثواب والعقاب يترتب على ما يقوم به الإنسان من عمل خير أو شر .

٢/٥٥ الثَّانِي عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَالْكَذِبَ رِيبَـــةٌ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ صَحِيحٌ . قَوْلُهُ : « يَرِيبُكَ » هُوَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا : وَمَعْنَاهُ اُتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِي حِلِّهِ وَاعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة باب (اعقلها وتوكل) رقم / ٢٥٢٠ /

لغة الحديث : يَريبك : بفتح الياء من راب ، وضمها من أراب ، والفتح أفصح ، وقيل : راب لما تيقن فيه الريبة ، وأراب لما تتوهم منه . طمأنينة : اطمأن القلب: سكن ولم يقلق ، والاسم الطمأنينة .

أفَادَ الحَدِيثُ : • استحباب التنزه عن الشبهات والإقدام على ماهو حلال بيّن، لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

٣/٥٦ الثَّالِثُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ ، قالَ هِرَقْلُ : فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ - يَعْنِي

النَّبِيِّ ﷺ - قالَ أَبُو سُفْيانَ : قُلْتُ : يَقُولُ : اُعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتْرُكُوا ما يَقُولُ آباؤُكُمْ . وَيَأْمُرُنا بِالصَّلاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفافِ ، وَالصِّلَةِ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . (1)

الحديث رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي والصلاة وغيرهما ، ومسلم في كتاب الجهاد (باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للاسلام) .

لغة الحديث : هرقل: بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ، هو ملك الروم ولقبه قيصر . وكان ذلك لما كتب إليه ﷺ يدعوه للإسلام سنة ست من الهجرة بعد صلح الحديبية . العفاف : الكف عن المحارم وخوارم المروءة . الصلة : أي صلة الأرحام وكل ماأمر الله به أن يوصل ، وذلك بالبر والإكرام . وهذا الحديث جزء من حديث طويل ذكره البخاري في كتاب بدء الوحي .

أفاد الحديث : • ملازمة الرسول ﷺ للصدق وشهرته به ، وشهادة الأعداء له بذلك • رأس هذا الدين توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به ، وهو منبع الفضائل • التنفير من التقليد الأعمى وخاصة في أمور الدين .

٤/٥٧ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي ثابِتٍ ، وقِيلَ أَبِي سَعِيدٍ ، وقِيلَ أَبِي الْوَلِيدِ ، سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، وَهُوَ بَدْرِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعالَى الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ ، وإِنْ ماتَ عَلى فِراشِهِ » رَواهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في الإمارة (باب استحباب الشهادة في سبيل الله تعالى) .

لغة الحديث: بدريٌ : أي حضر غزوة بدر . الشهادة : في أصلها هي الموت في قتال الأعداء ابتغاء مرضاة الله تعالى ، وسميت شهادة لأن صاحبها من شهد له الله وملائكته بالجنة ، وقيل لأنه حي لم يمت كأنه شاهد حاضر ، وقيل

(1) صحيح البخاري مع الباري ٨٧ جزء ١ ص ١١ والباء حرف جر الصدق مجرور الحديث صدر أهل هذه الطبعة

لأن ملائكة الرحمة تشهد له ، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل.
منازل الشهداء : درجاتهم عند الله .

أفاد الحديث : • أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب ، وأن من نوى شيئاً من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتحقق له عمله • استحباب طلب الشهادة والإخلاص في ذلك .

٥/٥٨ الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « غزا نبيٌّ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن بها ، ولا أحدٌ بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها ، ولا أحدٌ اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها . فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلول . فلتبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول . فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعها فجاءت النار فأكلتها . فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » متفق عليه .

« الخلفات » بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام : جمع خلفة وهي الناقة الحامل .

الحديث رواه البخاري في الجهاد (باب قول النبي ﷺ : أحلت لكم الغنائم) وفي النكاح (باب من أحب البناء قبل الغزو) ومسلم في كتاب الجهاد (باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة) .

لغة الحديث : نبيٌ : هو يوشع بن نون ، كما قاله السيوطي . بُضْع : بضم الباء وسكون الضاد ، يطلق على الفرج والنكاح والجماع . يبني بها : يدخل بها ، وكانت عادة العرب إذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قبة من شعر أو غيره فأطلق البناء وأراد الدخول . من القرية : هي اريحاء . لم تطعمها : قال الكرماني : عبر بلم تطعمها دون لم تأكلها ، للمبالغة ، إذ معناه لم تذق طعمها . غلولاً : الخيانة في الغنيمة

أفاد الحديث : • قال القرطبي : نهي النبي قومه عن اتباعه على أحد هذه الأحوال ، لأن أصحابها يكونون متعلقي النفوس بهذه الأسباب ، فتضعف عزائمهم وتفتر رغباتهم في الجهاد والشهادة • ومقصود النبي تفرغهم من العوائق والأشغال ليقبلوا على الجهاد بنية صادقة وعزم حازم • كفاية المجاهدين أمور الدنيا ليتفرغوا للجهاد بصدق • أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين ، وأمر العقلاء أمر تكليف • ثبوت المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام • كان من علامة قبول الغنائم وعدم وجود الغلول فيها ، أن تأتي نار من السماء فتأكلها وهذا فيما مضى ، ولكن في الإسلام أباح الله تعالى لأمة سيدنا محمد ﷺ الغنائم ، وكان هذا من خصوصياته عليه الصلاة والسلام .

٦/٥٩ السادس عن أبي خالد حكيم بن حزام رضي الله عنه

قال : قال رسول الله ﷺ : « البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » « متفق عليه .

الحديث رواه البخاري في البيوع (باب : إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا) وغيره ، ومسلم في البيوع (باب ثبوت خيار المجلس للمتابعين) .

لغة الحديث : البيعان : البائع والمشتري . بالخيار : اسم من الاختيار والتحيير، وهو طلب خير الأمرين من الفسخ والإجازة ، وهذا ما يسمى خيار المجلس . فإن صدقا : أي فيما يخبران به، البائع في البيع والمشتري في الثمن . بيّنا : أظهر البائع والمشتري ما في المبيع والثمن من عيب ونحوه . بورك لهما : أي في بيعهما وشرائهما ، وذلك بكثرة الخير والبركة ، وتسهيل الأسباب المفضية لزيادة الربح . كتما : أخفيا ما في السلعة والثمن من العيوب . محقت بركة بيعهما : ذهبت فلم يحصلا إلا على مجرد التعب

أفاد الحديث : • ثبوت خيار المجلس للمتابعين، وهذا عند الشافعية ، والأحناف لايثبتون خيار المجلس ويحملون التفرق على التفرق بالأقوال . أي فرغا من الإيجاب والقبول ، وقيل : التفرق بالكلام معناه اختلاف القبول عن الإيجاب كأن يقول : بعتك بعشرة فيقول : اشتريت بعشرين • وجوب إظهار العيب في السلعة وحرمة إخفائها ، فإذا ظهر العيب كان له الخيار في فسخ البيع بشروط ذكرها الفقهاء • أن الكذب سبب لمحق البركة .

فائدة : كما أن التاجر اذا صدق في سلعته ولم يغش بورك له في معاملته ، كذلك العبد إذا صدق في معاملته مع ربه ولم يغش في أداء الواجبات برياء أو سمعة ، بورك له في تلك المعاملة، وأعطي الأجر والثواب .

٥ - بَابُ المراقبة

قالَ اللهُ تعالَى (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)[1].

وقالَ تعالَى (وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ)[2]

---

(١) الشعراء / ٢١٨ – ٢١٩ . حين تقوم : أي إلى الصلاة . تقلبك : في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وساجداً . في الساجدين : مع المصلين ، وفسر بعضهم الساجدين بأصلاب آباء النبي من الأنبياء .

(٢) الحديد / ٤ . معكم : هذه المعية الله أعلم بها، وفسرها بعض العلماء بأنها معية بعلمه لا بذاته .

وقالَ تَعالَى (إنَّ الله لايَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي ٱلْأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ)[1] وقالَ تَعالَى (إنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصادِ)[2] وقالَ تَعالَى (يَعْلَمُ خائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ)[3] والآياتُ فِي ٱلبابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

---

(١) آل عمران ٥/ ٠ (٢) الفجر / ٤ . المرصاد: والمرصد ، الطريق والموضع الذي يرقب فيه العدو ، والمعنى أنه تعالى يراقب عباده لا يفوته أحد منهم .
(٣) غافر / ١٩ . خائنة الأعين: العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى المحرمات. وما تخفي الصدور : أي القلوب التي في الصدور .

١/٦٠ وأمَّا ٱلْأَحادِيثُ فَٱلْأَوَّلُ عَنْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : « بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إذْ طَلَعَ عَلَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ ، لا يُرَى عَلَيْهِ أثَرُ ٱلسَّفَرِ ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلَى رُكْبَتَيْهِ ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ عَلى فَخِذَيْهِ وقالَ : يا مُحَمَّدُ، أخْبِرْنِي عَنِ ٱلْإسْلامِ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ٱلْإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ ، وتَحُجَّ ٱلْبَيْتَ إنِ ٱسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلاً . قالَ : صَدَقْتَ . فَعَجِبْنا لَهُ يَسْأَلُهُ ويُصَدِّقُهُ قالَ : فَأخْبِرْنِي عَنِ ٱلْإيمانِ . قالَ : أنْ تُؤْمِنَ باللهِ ، ومَلائِكَتِهِ ، وكُتُبِهِ . ورُسُلِهِ ، وٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ،

وتُؤمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ . قالَ : صَدَقْتَ . قالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحسانِ . قالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ : قالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قالَ : ما الْمَسْؤُولُ عَنْها بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمارَاتِها . قالَ : أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَها ، وأَنْ تَرَى الْحُفاةَ الْعُرَاةَ الْعالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في الْبُنْيانِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قالَ : يا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ . قالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . ومَعْنَى « تَلِدُ الْأَمَةُ رَبَّتَها » : أَيْ سَيِّدَتَها : ومَعْناهُ أَنْ تَكْثُرَ السَّرارِي حَتَّى تَلِدَ الْأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنْتاً لِسَيِّدِها ، وبِنْتُ السَّيِّدِ في مَعْنَى السَّيِّدِ ، وقِيلَ غَيْرُ ذٰلِكَ . و « الْعالَةُ » الْفُقَرَاءُ . وقَوْلُهُ « مَلِيًّا » أَيْ زَماناً طَوِيلاً ، وكانَ ذٰلِكَ ثَلاثاً .

الحديث رواه مسلم في أول كتاب الإيمان .

لغة الحديث : تشهد : تقر وتبين . تقيم الصلاة : تأتي بها تامة الشروط والأركان ، والصلاة لغة الدعاء ، وشرعاً أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشروط خاصة . تؤتي الزكاة : تؤديها ، والزكاة لغة النماء والتطهير ، وشرعاً اسم لقدر معلوم . الصوم : لغة الإمساك ، وشرعاً الإمساك عن المفطرات ، ورمضان اسم للشهر سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها . الحج : لغة القصد ، وشرعاً قصد البيت الحرام لأداء النسك . السبيل : الطريق ، والمراد هنا ملك الزاد والراحلة كما جاء مفسراً بالحديث . تؤمن بالله : الله علم الذات المقدسة المتصفة بسائر الكمالات ، وقيل هو الاسم الأعظم لم يتسم به أحد غيره .

الملائكة : عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، قادرون على التشكل ، قائمون بوظائف العبودية لله ، مخلوقون من نور ، الله أعلم بحقيقتهم . اليوم الآخر : يوم القيامة ، سمي بذلك لأنه لايوم بعده . القضاء : لغة الحكم ، وشرعاً : إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ماهي عليه فيما لايزال . القدر : لغة التقدير ، وجعل الشيء على مقدار مخصوص ، وشرعاً إيجاد الأشياء على وفق ما قضاه الله تعالى . خيره وشره : أي ما يصيب الناس من خير كالخصب ، أو شر كالقحط ، هذا بالنسبة للناس ، وأما عند الله تعالى فكله لحكمة يعلمها . الإحسان : إتقان العبادة وأداؤها على أكمل وجوهها المشروعة ، وإنما أخر الإحسان عما قبله ، لأنه غاية كمالها ، بل والمقوم لها . أن تعبد : العبادة أقصى درجات الخضوع لله تعالى مع الإذعان والرضا . كأنك تراه : ويراك ، فحذف الثاني ، لدلالة الأول عليه ، وهذا من جوامع كلمه ﷺ ، وهذا أقصى درجات المراقبة لله تعالى . فإن لم تكن تراه : أي فلا تفعل مالايرضيه ، فإنه يراك . الساعة : يوم القيامة ، والمسؤول عنه زمن وجودها . أماراتها : جمع أمارة ، وهي العلامات الدالة على اقترابها . الأمة : القِنّة وهي المملوكة . رعاء : جمع راع . الشاء : جمع شاة . يتطاولون في البنيان : يتفاخرون بارتفاع المباني ، وهذا كناية عن إسناد الأمر إلى غير أهله . يعلمكم دينكم : أي أمور دينكم ، وإسناد التعليم إلى جبريل مجاز ، إذ المعلم في الحقيقة هو النبي ﷺ .

أفاد الحديث : • إنما نادى جبريل النبي ﷺ باسمه مع أن الله تعالى قال : (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) النور / ٦٢ ، زيادة في إخفاء أمره ، أو أن الملائكة ليسوا داخلين في مفهوم الآية • الإيمان هو التصديق بقواعد الدين ، والإسلام هو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية ، فهما مختلفان مفهوماً لكنهما متلازمان ، فلا يقبل إيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان ، وقد يتوسع الشرع فيهما فيستعمل كل واحد منهما مكان الآخر • النطق بالشهادتين للقادر على النطق شرط في إجراء أحكام الإسلام على الإنسان في الدنيا • في محاورة جبريل مع النبي ﷺ توجيه تربوي في طريقة الحوار والاستجواب في التعليم • في جلوس جبريل أمام النبي ﷺ توجيه إلى الأدب واحترام مجالس العلم • تحديد يوم الساعة لم يُطلع عليه الله تعالى أحداً من خلقه ، ولكن للساعة أمارات كثيرة منها :

ماذكر في هذا الحديث ، ومنها ما ذكر في غيره ؛ ظهور عيسى عليه السلام ، والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، وغيرها . . • على الإنسان أن يراقب الله تعالى ويشعر دائماً بأن الله مطلع عليه • في الحديث إشارة إلى أنه قد يتولى الأمر غير أهله ، وإلى كثرة العقوق ، وهذا من أمارات الساعة • على المسلم أن يحافظ على أسس الدين وأركانه ، وأن يشعر بالمسؤولية أمام الله تعالى فيحسن عمله بدافع الإيمان ومراقبة الله تعالى .

٢/٦١ الثَّانِي عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : «اتَّقِ اللهَ حَيْثُما كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُها : وخالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب البر والصلة (باب ما جاء في معاشرة الناس) رقم / ١٩٨٨ / .

لغة الحديث : اتق الله : أي اجعل بينك وبين عقاب الله وقاية، وذلك بفعل أوامره وترك نواهيه . حيثما كنت : في أي مكان كنت ، حيث يراك الناس ولا يرونك ، اكتفاء بنظره تعالى . وأتبع : إذا فعلت سيئة فألحقها بحسنة .

أفاد الحديث : • الحسنة تمحو السيئة ، أي تزيلها من كتب الحفظة ، وقيل هذا كناية عن عدم المؤاخذة بها ، وقيل هذا في الصغائر ، أما الكبائر فلا يكفّرها إلا التوبة بشروطها ، وهذا في غير المعاصي المتعلقة بحقوق الناس • من حسن الخلق طلاقة الوجه ، وكف الأذى ، وبذل المعروف ، ومعاملة الناس بمثل ماتحب أن يعاملوك .

٣/٦٢ الثَّالِثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْماً فَقَالَ : يا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ : احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجاهَكَ . إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وإِذَا

ٱسْتَعَنْتَ فَٱسْتَعِنْ بِاللهِ . واعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ ٱجْتَمَعَتْ عَلى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ ٱلْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ ٱلصُّحُفُ ! رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وفي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ « ٱحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي ٱلشِّدَّةِ ، وٱعْلَمْ أَنَّ ما أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وما أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ : وٱعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وأَنَّ الفَرَجَ مَعَ ٱلْكَرْبِ ، وأَنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْراً » .

الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة (باب : ولكن ياحنظلة ساعة وساعة) رقم / ٢٥١٨ / والحديث الذي في ذيل هذا الحديث رواه الإمام أحمد .

لغة الحديث : يوماً : ساعة من يوم . غلام : الصبي من حين يفطم إلى البلوغ ، وابن عباس كان سنه يومها نحو عشر سنين . كلمات : جمعت للقلة ، لتسهيل حفظها ، ونونت إيذاناً بعظيم خطرها . احفظ الله : أي احفظ دينه بملازمة تقواه ، واجتناب ما لايرضاه . تجاهك : معك ، ومعية اللهِ اللهُ أعلم بها ، وقيل بالحفظ والتأييد والإعانة . استعنت : طلبت الإعانة على أمر من أمور الدين . الأمة : الجماعة وأتباع الأنبياء ، والمراد جميع المخلوقين . رُفعت الأقلام : تركت الكتابة بها ، لفراغ الأمر وانبرامه . جفت : يبست . الصحف : التي فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ . الرخاء : النعمة . الفرج : الخروج من الغم ، والغم هو الضيق الذي يأخذ بالنفس .

أفاد الحديث : • تحريم سؤال غير الله تعالى مما لايقدر عليه إلا هو ، كالرزق والشفاء والمغفرة والنصر وغيرها ، أما ما جرت عليه عادة الناس أن يتعاونوا

فيه مما يقدرون عليه فلا مانع من سؤالهم ، كالاستعارة والاستقراض والاسترشاد وغير ذلك • ما في علم الله تعالى، أو ما أثبته سبحانه في أم الكتاب، ثابت لايتبدل ولا يتغير ولا ينسخ ، وما وقع وما سيقع كله معلوم لله ، ولا يقع شيء إلا بعلمه تعالى • من لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر ، أن الكرب إذا اشتد وتناهى أيس العبد من جميع المخلوقين ، وتعلق قلبه بالله وحده ، وهذا هو حقيقة التوكل • الحديث يدل على أصل عظيم في مراقبة الله تعالى ، ومراعاة حقوقه ، والتفويض لأمره ، والتوكل عليه ، وشهود توحيده ، وتفرده ، وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه .

٤/٦٣ الرَّابِعُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ ٱلشَّعَرِ كُنَّا نَعُدُّهـا عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ ٱلْمُوبِقاتِ » رَوَاهُ ٱلْبُخارِيُّ ، وقالَ : « ٱلْمُوبِقاتُ » : ٱلْمُهْلِكاتُ .

الحديث رواه البخاري في الرقاق (باب ما يتقى من محقرات الذنوب) .

لغة الحديث : الشعر : بفتح العين ويجوز إسكانها ، ويضرب مثلاً للدقة والقلة.

أفاد الحديث : • الاستخفاف بالذنب يدل على قلة الخشية من الله تعالى ، على العكس من استعظامه ، فإنه يدل على كمال الخشية وعظيم المراقبة لله تعالى • أعلم الناس بالله تعالى بعد الأنبياء وأكملهم ورعاً وأشدهم خشية هم أصحاب رسول الله ﷺ ، فلقد كانوا يرون الأمور التي استهونها غيرهم مهلكات ، لعظم شهودهم جلال الله وكمال معرفتهم له .

٥/٦٤ الْخَامِسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: « إِنَّ اللهَ تَعالَى يَغارُ ، وغَيْرَةُ اللهِ تَعالَى أَنْ يَأْتِيَ ٱلْمَرْءُ ما حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « وٱلْغَيْرَةُ » بِفَتْحِ ٱلْغَيْنِ : وأَصْلُها ٱلْأَنَفَةُ .

الحديث رواه البخاري في النكاح (باب الغيرة) ومسلم في التوبة (باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش) .

لغة الحديث : الغيرة : في حق الناس تغير حالهم وانزعاجهم ، وهذا مستحيل في حق الله تعالى ، ومعنى غيرته تعالى : منع الناس من الفواحش وسائر المحرمات ، وأنه تعالى لايرضى بارتكابها .

أفاد الحديث : • التنفير من ارتكاب المحرمات ، فإنها تسبب غضب الله تعالى .

٦/٦٥ السَّادِسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقولُ : « إِنَّ ثَلاَثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً فَأَتَى الْأَبْرَصَ فقالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وجِلْدٌ حَسَنٌ ، ويَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً . فَقالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : الْإِبِلُ - أَوْ قالَ الْبَقَرُ - شَكَّ الرَّاوِي ، فَأُعْطِيَ ناقَةً عُشَرَاءَ فقالَ : بارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فَأَتَى الْأَقْرَعَ فقالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ ، ويَذْهَبُ عَنِّي هٰذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ وأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : الْبَقَرُ ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حامِلاً وقالَ : بارَكَ اللهُ لَكَ فيها . فَأَتَى الْأَعْمَى فقالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قالَ : أَنْ يَرُدَّ اللهُ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ ،

فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْـــهِ بَصَرَهُ . قالَ : فَأَيُّ ٱلْمَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : ٱلْغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً ، فَأُنْتِجَ هٰذَانِ ووَلَّدَ هٰـذَا ، فَكَانَ لِهٰذَا وادٍ مِنَ ٱلْإِبِلِ ، ولِهٰذَا وادٍ مِنَ ٱلْبَقَرِ ، ولِهٰذَا وادٍ مِنَ ٱلْغَنَمِ ! ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى ٱلْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وهَيْئَتِهِ فَقالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ ٱنْقَطَعَتْ بِيَ ٱلْحِبالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِيَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطاكَ ٱللَّوْنَ ٱلْحَسَنَ ، وٱلْجِلْدَ ٱلْحَسَنَ ، وٱلْمَالَ ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقالَ : ٱلْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقالَ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيراً فَأَعْطاكَ اللهُ !؟ فَقالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هٰذَا ٱلْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ . فَقالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مـا كُنْتَ . وأَتَى ٱلْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وهَيْئَتِهِ فَقالَ لَهُ مِثْلَ ما قالَ لِهٰذَا ، ورَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ ما رَدَّ هٰذَا . فَقالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى ما كُنْتَ . وأَتَى ٱلْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وهَيْئَتِهِ فَقالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وٱبْنُ سَبِيلٍ ٱنْقَطَعَتْ بِيَ ٱلْحِبالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِيَ ٱلْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَخُذْ ما شِئْتَ ودَعْ ما شِئْتَ ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ ٱلْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ عَزَّ وجَلَّ . فَقالَ : أَمْسِكْ مالَكَ ، فَإِنَّمَا ٱبْتُلِيتُمْ ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وسَخِطَ عَلَى صاحِبَيْكَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « والنَّاقَةُ ٱلْعُشَرَاءُ » بِضَمِّ ٱلْعَيْنِ

وفتح الشين وبالمد : هي الحامل : قوله : « أنتج » وفي رواية « فنتج » معناه : تولى نتاجها ، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة . وقوله « ولد هذا » هو بتشديد اللام : أي تولى ولادتها ، وهو بمعنى أنتج في الناقة ، فالمولد ، والناتج ، والقابلة بمعنى : لكن هذا للحيوان وذاك لغيره . وقوله « انقطعت بي الحبال » هو بالحاء المهملة والباء الموحدة : أي الأسباب . وقوله : « لا أجهدك » معناه لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي . وفي رواية البخاري : « لا أحمدك » بالحاء المهملة والميم ، ومعناه : لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه كما قالوا : ليس على طول الحياة ندم : أي على فوات طولها .

الحديث : رواه البخاري في الأنبياء (باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ومسلم في الزهد في فاتحته .

لغة الحديث : البرص : مرض ، وهو بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج . أقرع : وهو من ذهب شعر رأسه من آفة . يبتليهم : يختبرهم ، أي يعاملهم معاملة المختبر ، ليظهر حالهم للناس ، وإلا فعلمه أزلي شامل للموجود والمعدوم قبل وجوده . قذرني : كرهني الناس وتباعدوا عني . فلا بلاغ : البلاغ ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب . كابراً عن كابر : أي أباً عن جد .

أفاد الحديث : • من أقبح الصفات البخل ، فإنه حمل ذينك الشخصين على نسيان نعمة الله تعالى عليهما وجحدها • البخل والكذب موجبان لغضب الله تعالى وسخطه ، كما حصل للأبرص والأقرع • الصدق والكرم من الصفات

الحميدة ، وقد اتصف بهما ذلك الأعمى ، فحملاه على الشكر والجود ، فنال بذلك مرضاة الله تعالى • الجزاء عند الله تعالى على ما يظهر من عمل الإنسان وبحسب نيته • جواز الإخبار عن بني إسرائيل ، وفي ذلك عبرة وعظة لغيرهم • أفاد الحديث التوجيه والإرشاد بالقصة ، لأن تأثيرها أبلغ في النفوس بمجرد الموعظة • على المؤمن أن يتصف بالصدق والكرم ، ويبادر إلى شكر نعم الله تعالى بالقول والعمل .

٧/٦٦ السَّابِعُ عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : « اَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، والْعاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاها وتَمَنَّى عَلى اللهِ الْأَمانِيَّ » . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ . قالَ التِّرْمِذِيُّ وغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَماءِ : مَعْنَى « دَانَ نَفْسَهُ » : حَاسَبَها .

الحديث : رواه الترمذي في أبواب القيامة (باب الكيس من دان نفسه) رقم / ٢٤٦١ / .

لغة الحديث : الكيس : العاقل . العاجز : الضعيف التارك لما يجب فعله .

أفاد الحديث : • وجوب الأخذ بالحزم مع النفس ومحاسبتها ، والإتيان بواجب العبودية ، وعدم الركون إلى الأماني الكاذبة والأوهام الخادعة ، فإن الله تعالى يثيب الناس بما عملوا لا بما تمنوا من غير عمل .

٨/٦٧ الثَّامِنُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ » حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وغَيْرُهُ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب ما جاء فيمن تكلم فيما لا يعنيه) رقم / ٢٣١٨ / .

لغة الحديث : من حسن إسلام المرء : أي من علامة كماله واستقامته .

تركه ما لا يعنيه : مالا يحتاجه ولا ضرورة إليه .

أفاد الحديث : • على الإنسان أن يشتغل بما فيه صلاحه معاشاً ومعاداً ، ويعرض عمّا عدا ذلك بما لا يحتاجه ولا ينتفع به ، بله ما يضره ويؤذيه ، وألا يتطفل بشؤون غيره ، فإن ذلك من كمال الاستقامة .

٩/٦٨ التَّاسِعُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : « لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وغَيْرُهُ .

الحديث رواه أبو داود في النكاح (باب في ضرب النساء) .

أفاد الحديث : • أنه ينبغي المحافظة على الأسرار التي تكون بين الزوجين.

• ولا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته ، لأنه قد يكون لأسباب يستحيا من ذكرها ، أو مما يجب كتمه ، ويترك ذلك إلى الزوج وإلى مراقبته لله تعالى ، فإنه مأمور بتأديب زوجته ، ولكن إذا رفعت الأمور إلى القضاء واحتيج الأمر إلى السؤال والجواب صح ذلك ، لإقامة الحق وإصلاح ذات البين .

٦- بَابُ التَّقْوَى

قالَ اللهُ تَعالَى : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ)[1]

---

(١) آل عمران / ١٠٢ . التقوى : مأخوذة من الوقاية ، وهي ما يستر الرأس ، فهي اتخاذ ما يحفظ مما يخاف ويحذر . والتقاة بمعناها ، وتقوى الله عز وجل : أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من عقابه وقاية تقيه منه ، وذلك بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه . حق تقاته : تقوى تليق به تعالى .

وقالَ تعالَى : (فَاتَّقُوا اللهَ ما اسْتَطَعْتُمْ)[1]. وهٰذِهِ الآيَةُ مُبَيِّنَةٌ لِلْمُرَادِ مِنَ الأُولَى. وقالَ تعالَى : (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)[2]. والآياتُ في الأَمْرِ بِالتَّقْوَى كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ ، وقالَ تعالَى : (ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ)[3] وقالَ تعالَى : (إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً ويُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)[4] والآياتُ في البابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

---

(١) التغابن / ١٦ . ما استطعتم : أي بحسب طاقتكم ، ويدخل في ذلك فعل كل ما أمر الله تعالى به وترك كل ما نهى عنه ، لأنه في مقدور الإنسان فعله .

(٢) الأحزاب / ٧٠ . سديداً : على وزن فعيل ، من السداد ، هو الصواب من القول .

(٣) الطلاق / ٢ ـ ٣ . مخرجاً : أي يخرجه من كرب الدنيا والآخرة . لايحتسب : لايخطر بباله .

(٤) الأنفال / ٢٩ . فرقاناً : مصدر فرق ، أي فصل بين الشيئين ، والمعنى هنا : فصلاً بين الحق والباطل ، ومخرجاً من الشبهات .

أفادت الآيات : • وجوب التزام تقوى الله عز وجل بالقول والفعل ، وأن تقوى الله عز وجل سبب النجاة من الشدائد وجلب الرزق الحلال ، وأن من التزم تقوى الله تعالى جعل الله في قلبه وعقله نوراً يعرف به الحق فيتبعه ويميز الباطل فيجتنبه ، فيستمطر بذلك عفو الله ومغفرته .

١٦ وأَمَّا ٱلْأَحادِيثُ فَٱلْأَوَّلُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قِيلَ يا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قالَ : « أَتْقاهُمْ » . فَقالُوا : لَيْسَ عَنْ هٰذَا نَسْأَلُكَ ، قالَ : « فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ بْنُ نَبِيِّ اللهِ بْنِ خَلِيلِ اللهِ » . قالُوا : لَيْسَ عَنْ هٰذَا نَسْأَلُكَ ، قالَ : « فَعَنْ مَعادِنِ ٱلْعَرَبِ تَسْأَلُونِي ؟ خِيارُهُمْ فِي ٱلْجاهِلِيَّةِ خِيارُهُمْ فِي ٱلْإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . و « فَقُهُوا » بِضَمِّ ٱلْقافِ عَلى ٱلْمَشْهُورِ ، وحُكِيَ كَسْرُها : أَيْ عَلِمُوا أَحْكامَ الشَّرْعِ .

الحديث : رواه البخاري في كتاب الأنبياء (باب : واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وغيره ، ومسلم في كتاب الفضائل (باب من فضائل يوسف عليه السلام) .

لغة الحديث : أكرم : اسم تفضيل من الكرم ، وأصله كثرة الخير وهو ضد اللؤم . ابن نبي الله : يعقوب عليه السلام . ابن نبي الله : اسحق عليه السلام . ابن خليل الله : إبراهيم عليه السلام . معادن : جمع مَعْدِن ، وهو منبت الجواهر من ذهب ونحوه ، وأصل كل شيء ، والمراد هنا قبائل العرب . فقهوا : الفِقْهُ : في اللغة : الفهم ، وفقُه صار الفقه سجية له .

أفاد الحديث : • أن الإنسان يكرم ويشرف بتقوى الله عز وجل ، وأن من كان تقياً كان كثير الخير في الدنيا رفيع الدرجة في الآخرة • يشرف الإنسان بشرف آبائه وعشيرته إذا كانوا أتقياء ، وكان هو على شاكلتهم وطريقتهم .

٧٠ الثَّانِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ٱلْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : « إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَٱتَّقُوا الدُّنْيا وٱتَّقُوا النِّساءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ

بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب الرقاق (باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء) .

لغة الحديث : حلوة خضرة : أي تشبه في الميل إليها الفاكهة الحلوة في مذاقها ، الخضرة في لونها . مستخلفكم : جعلكم خلفاً في الدنيا ، فأنتم بمنزلة الوكلاء فيها اتقوا الدنيا : احذروا الاغترار بها . اتقوا النساء : احذروا الافتتان بهن . فتنة : الفتنة تأتي بمعان كثيرة منها : الضلال والمحنة والإعجاب بالشيء ، وفتنَهُ أوقعه في الفتنة . في النساء : أي بسببهن .

أفاد الحديث : • الحذر من الافتتان بالنساء ، وذلك بترك مباشرة الأسباب التي تثير كامن الشهوة ، كالاختلاط بهن ، والنظر إلى مواضع الفتنة منهن إذا كن أجنبيات ، وأن لايشغل التمتع بهن عن الواجبات إذا كن حلائل • الاتعاظ وأخذ العبرة من الأمم السابقة ، فإن ماحصل لبني إسرائيل يحصل لغيرهم إذا تعاطوا أسبابه .

٣/٧١ الثَّالِثُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر (باب التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل) .

لغة الحديث : الهدى : الدلالة والرشاد . التقى : مصدر اتقى . العفاف : التنزه عما لايحل والكف عنه . الغنى : ضد الفقر ، والمراد غنى النفس ، والاغتناء عن الناس وعما في أيديهم .

أفاد الحديث : • الخضوع إلى الله تعالى واللجوء إليه في جميع الأحوال ، وفضل هذه الصفات التي كان يسألها عليه الصلاة والسلام ، وهو أعلم الناس بالله وأخشاهم له .

٤/٧٢ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الحديث رواه مسلم في الأيمان (باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه) .

لغة الحديث : الحلف واليمين : بمعنى ، وأصلها العقد بالعزم والنية ، وقوله : « من حلف على يمين » تأكيد . أتقى لله : أرضى لله وأبعد عن معصيته .

أفاد الحديث : • وجوب التزام التقوى • ومن عزم على فعل معصية فلا يفعلها ، وإن كان قد أقسم على فعلها ، فإنه يحنث ويكفر عن يمينه ، ولا يأتي بالمعصية .

٥/٧٣ الْخَامِسُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوِدَاعِ فقالَ: اتَّقُوا اللهَ ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، فِي آخِرِ كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

الحديث رواه الترمذي في (باب صلاة الجمعة) رقم / ٦١٦ / .

لغة الحديث : حجة الوداع : آخر حجة حجها النبي ﷺ ، والوداع : اسم مصدر من التوديع ، وسميت بذلك لأنه ﷺ ودع الناس فيها . خمسكم : أي الصلوات الخمس المفروضة . شهركم : شهر رمضان . أمراءكم : أولياء الأمور منكم .

أفاد الحديث : • أن التزام هذه الأعمال من تقوى الله عز وجل ، وأن تقوى الله تعالى طريق الجنة وشرط دخولها ، والاستقامة في الدنيا سبب النجاة في الآخرة • وجوب طاعة الولاة والحكام ، وشرط طاعتهم أن لا يأمروا بما فيه معصية الله عز وجل .

٧ - بَابُ اليَقِين وَالتَوَكل

قالَ اللهُ تَعالَى : (ولَمّا رَأى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحزَابَ قالُوا : هٰذَا مـا وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ ، وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ ، وما زَادَهُمْ إلّا إيمانـاً وتَسْلِيماً)[1] وقالَ تَعالَى : (ٱلَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً وقالُوا : حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ ٱلْوَكِيلُ . فَٱنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وٱتَّبَعُـوا رِضْوَانَ اللهِ ، واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)[2]

---

(١) الأحزاب / ٢٢ . الأحزاب : هم قريش وقيس وغطفان ، الذين اجتمعوا لمهاجمة المسلمين في المدينة ، وحفر الرسول ﷺ الخندق حول المدينة بمشورة سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وسميت الغزوة بغزوة الخندق ، كما سميت بغزوة الأحزاب ، وكانت في السنة الخامسة من الهجرة . هذا ماوعدنا الله ورسوله : من الابتلاء بمقاتلة الكفار والنصر عليهم . إيماناً : تصديقاً بوعد الله عز وجل ورسوله ، وثقة بنصره . وتسليماً : استسلاماً لأمره .

(٢) آل عمران / ١٧٣ - ١٧٤ . الذين: المراد بهم محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم . الناسُ : المراد بهم نُعيم بن مسعود الأشجعي . إن الناسَ : المراد أبو سفيان وأصحابه . قد جمعوا لكم : أي الجموع من القبائل ليستأصلوكم . حسبنا الله ونعم الوكيل : الله كافينا أمرهم وشرهم ، ونعم من فوضنا إليه أمرنا ، وهو ولينا وناصرنا . فانقلبوا : رجعوا . بنعمة من الله وفضل : بسلامة وربح . لم يمسسهم سوء : لم يصبهم أذى من قتل أو جرح . رضوان الله : مايرضيه من طاعته وطاعة رسوله . والآية نزلت في النبي ﷺ وأصحابه

حين خرجوا إلى سوق بدر الذي كان واعد النبي ﷺ يوم أحد كفار قريش على أن يلتقوا فيه العام المقبل ، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ، ولكن كفار قريش ألقى الله الرعب في قلوبهم فلم يخرجوا ، وكان مع الصحابة رضي الله عنهم تجارات ، فباعوا وربحوا ، وعادوا إلى المدينة منتصرين غانمين .

وقالَ تَعالَى : (وتَوَكَّلْ عَلى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لا يَمُوتُ)[1] .

وقالَ تَعالَى : (وعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ)[2] .

وقالَ تَعالَى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ)[3] . وٱلآيَاتُ في ٱلأَمْرِ بِالتَّوَكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ . وقالَ تَعالَى : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[4] : أَيْ كافِيهِ : وقالَ تَعالَى : (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً ، وعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)[5] . وٱلآيَاتُ فِي فَضْلِ ٱلتَّوَكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

---

(١) الفرقان / ٥٨ . توكل : اعتمد بعد إعداد ما أمكنك من الأسباب . لايموت : ليس من صفاته تعالى الفناء .

(٢) آل عمران / ١٦٠ . (٣) آل عمران / ١٥٩ . عزمت : عقد ضميرك على إمضاء ما تريد .

(٤) الطلاق٣ / . (٥) الأنفال / ٣ . وجلت قلوبهم : خشعت استعظاماً له وتهيباً من جلاله . تُليت : قرئت .

١/٧٤ وأمَّا الأحاديثُ فالأوَّلُ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيتُ النبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ ، والنَّبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ ، والنَّبيَّ لَيسَ مَعَهُ أَحدٌ ، إذْ رُفِعَ لِي سَوادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هٰذَا مُوسَى وقَوْمُهُ ، ولٰكِنِ انْظُرْ إلَى الأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ فَإذَا سَوادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : انْظُرْ إلَى الأُفُقِ الآخَرِ ، فَإذَا سَوادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ ومَعَهُمْ سَبْعُونَ ألْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ ولَا عَذَابٍ » . ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخاضَ النَّاسُ فِي أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِلَا حِسابٍ ولَا عَذَابٍ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ . وقالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا باللهِ - وذَكَرُوا أَشْياءَ - فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقالَ : « ما الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟ » فَأَخْبَرُوهُ فَقالَ : « هُمُ الَّذِينَ لا يَرْقُونَ ، ولَا يَسْتَرْقُونَ ، ولَا يَتَطَيَّرُونَ ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » . فَقامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقالَ : « أَنْتَ مِنْهُمْ » ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقالَ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ ، فَقالَ : « سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « الرُّهَيطُ » بِضَمِّ الرَّاءِ تَصْغِيرُ رَهْطٍ ، وهُمْ دُونَ عَشَرَةِ أَنْفُسٍ : « والأُفُقُ » النَّاحِيَةُ

والْجانِبُ . « وعُكَّاشَةُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ وتَشْدِيدِ الْكافِ وبِتَخْفِيفِها ، والتَّشْدِيدُ أفْصَحُ .

الحديث رواه البخاري في الطب (باب من اكتوى أو كوى غيره) ومسلم في الإيمان (باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب) .

لغة الحديث : النبي : أي من الأنبياء ، والمراد هنا من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه وهو الرسول . رفع لي سواد عظيم : أي عرض علي أشخاص كثيرون ، وسواد الناس عامتهم . موسى وقومه : أي أمته المؤمنون . هذه أمتك : أي مجموع السوادين العظيمين . خاض : في اللغة: خاض في الأمر دخل فيه ، والمراد هنا تكلم . لايرقون : لايقرؤون شيئاً يتعوذون به من شر ما وقع أو يتوقع . يسترقون : يطلبون الرقية ، والرقية مصدر رقى . لايتطيرون : لايتشاءمون . يتوكلون : يعتمدون على الله تعالى في ما يريدون مع الأخذ بالأسباب .

أفاد الحديث : • فضل منزلة النبي ﷺ حيث عرضت عليه الأمم ، وهذا العرض إما أن يكون مناماً ورؤيا الأنبياء حق ، أو يكون يقظة ليلة الإسراء ، أو غير ذلك ، والله يخص نبيه عليه الصلاة والسلام بما يشاء • **بيان فضل الله تعالى على نبيه ﷺ** بأن أمته أكثر الأمم • فضل التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في دفع ضر أو جلب نفع ، وما أعد الله تعالى للمتوكلين من أجر وثواب • حكم الرقية : منها مشروع ، وهو ما كان بالأدعية المأثورة الثابتة عن النبي ﷺ ، والرقية بالقرآن الكريم جائزة . ومنها غير مشروع ، وهي ما كان من أعمال الجاهلية والضلالات والشعوذة التي تنافي صحة الإيمان وكمال التوكل • تحريم التشاؤم والتطير .

٢/٧٥ الثَّانِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أيْضاً أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ ، وبِكَ آمَنْتُ ، وعَلَيْكَ

تَوَكَّلْتُ ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وبِكَ خاصَمْتُ ، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ؛ لا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ٱلَّذِي لا يَمُوتُ ، وٱلْجِنُّ وٱلْإِنْسُ يَمُوتُونَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وهٰذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ وٱخْتَصَرَهُ ٱلْبُخارِيُّ .

الحديث أخرجه البخاري في التوحيد (باب قوله تعالى: (وهو العزيز الحكيم) (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) و (لله العزة ولرسوله) ومسلم في الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل) .

لغة الحديث : أسلمت : استسلمت لأمرك ورضيت بحكمك . توكلت : اعتمدت على تدبيرك في سائر الأمور . أنبت : من الإنابة وهي الرجوع . بك خاصمت: أي حاججت أعداء الله من أجلك. أعوذ: ألتجىء. بعزتك: بقوتك وسلطانك

أفاد الحديث : • وجوب التوكل على الله تعالى وحده وطلب الحفظ منه ، لأنه متصف بصفات الكمال ، فهو وحده الذي يعتمد عليه ، والخلق كلهم عاجزون ومنتهون إلى الموت ، فهم ليسوا أهلاً للاعتماد عليهم • التأسي بالنبي ﷺ في الدعاء بهذه الكلمات الجامعة المانعة التي تعبر عن صدق الإيمان وغاية اليقين .

٣/٧٦ الثَّالِثُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَيْضاً قالَ : « حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ ٱلْوَكِيلُ قالَها إِبْراهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وقالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قالُوا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ، فَزادَهُمْ إِيماناً وقالُوا : حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ ٱلْوَكِيلُ » رَواهُ ٱلْبُخارِيُّ ، وفِي رِوايَةٍ لَهُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : كانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْراهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي ٱلنَّارِ : حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ ٱلْوَكِيلُ .

الحديث أخرجه البخاري في التفسير ، تفسير سورة آل عمران (باب إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) .

لغة الحديث : حسبنا : كافينا . الوكيل : المفوض إليه الأمر . قالها إبراهيم عليه السلام : حين جمعوا له الحطب وأوقدوا النار ، وألقوه فيها بالمنجنيق .

أفاد الحديث : • فضل التوكل على الله عز وجل وضرورته في المواقف الحرجة • التأسي بالأنبياء والمقربين إلى الله تعالى بالدعاء والتوكل على الله تعالى .

٤/٧٧ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ: « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ . قِيلَ: مَعْنَاهُ مُتَوَكِّلُونَ ، وقِيلَ : قُلُوبُهُمْ رَقِيقَةٌ .

الحديث رواه مسلم في الجنة (باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) .

لغة الحديث : أقوام : جمع واحده قوم ، والمراد به جماعة من الرجال والنساء .

أفاد الحديث : • الحث على التوكل ورقة القلب ، فإنها من أسباب دخول الجنة والفوز بنعيمها .

٥/٧٨ الْخَامِسُ عَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وادٍ كَثِيرِ الْعِضاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، ونَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِها سَيْفَهُ ونِمْنا نَوْمَةً ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونا وإِذَا عِنْدَه

أَعْرَابِيٌّ ، فَقالَ : « إِنَّ هٰذَا ٱخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وأَنا نائِمٌ ، فَٱسْتَيْقَظْتُ وهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً ، قالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللهُ - ثَلاثاً - ولَمْ يُعاقِبْهُ وجَلَسَ » . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وفي رِوَايَةٍ « قالَ جَابِرٌ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَاتِ الرِّقاعِ ، فَإِذَا أَتَيْنا عَلى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْناها لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَجاءَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ ، فَٱخْتَرَطَهُ فَقالَ : تَخَافُنِي ؟ قالَ : لاَ ، فَقالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قالَ : « اللهُ » . وفي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ الإِسْماعِيلِيِّ في صَحِيحِهِ « فَقالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قالَ : اللهُ . فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهُ ﷺ السَّيْفَ ، فَقالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ . فَقالَ : تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قالَ : لاَ ولٰكِنِّي أُعاهِدُكَ أَلَّا أُقاتِلَكَ ولاَ أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقاتِلُونَكَ . فَخَلَّى سَبِيلَهُ فَأَتى أَصْحابَهُ فَقالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ » ، قَوْلُهُ « قَفَلَ » أَيْ رَجَعَ . و « ٱلْعِضاهُ » الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ : و « السَّمُرَةُ » بِفَتْحِ السِّينِ وضَمِّ ٱلْمِيمِ : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْحِ ، وهِيَ ٱلْعِظام مِنْ شَجَرِ ٱلْعِضاهِ . وٱخْتَرَطَ السَّيْفَ » أَيْ سَلَّهُ وهُوَ فِي يَدِهِ . « صَلْتاً » أَيْ مَسْلُولاً ، وهُوَ بِفَتْحِ الصَّادِ وضَمِّها .

الحديث أخرجه البخاري في الجهاد (باب : من علق سيفه بالشجر في السفر) والمغازي (باب غزوة ذات الرقاع) ومسلم في الفضائل (باب توكله ﷺ على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس) .

غريب الحديث : نجد : هي لغة ما ارتفع من الأرض ، والمراد ما دون الحجاز . القائلة : وقت القيلولة ، وهي النوم في الظهيرة . أعرابي : هو غورث بن الحارث ، من بني محارب الذين خرج رسول الله ﷺ لقتالهم في غزوة ذات الرقاع ، وقد أسلم بعد هذا وصحب النبي ﷺ ، وسميت ذات الرقاع ، لأنهم شدوا على أرجلهم الخرق من شدة الحر وفقد النعال لديهم ، وقيل : ذات الرقاع اسم جبل قريب من المدينة فيه بقع حمرة وسواد وبياض كأنها رقاع ، فسمي بذلك ، وكانت الغزوة عنده فسميت به . وقيل غير ذلك ، وكان ذلك في السنة السادسة من الهجرة . ثلاثاً : أي كرر سؤاله ثلاث مرات ، وكرر رسول الله ﷺ جوابه كذلك أيضاً . ظليلة : كثيرة الظل . كن خير آخذ : أي بأن تعفو وتصفح ، وتقابل السيئة بالحسنة . خلّى سبيله : مَنَّ عليه وأطلقه .

أفاد الحديث : • شجاعة النبي ﷺ وثبات قلبه أمام الخاطر ، وثقته بالله تعالى وصدق توكله عليه وحسن الالتجاء إليه • أثر التوكل على الله تعالى في الخلاص من الشدائد • عفو النبي ﷺ وكرم خلقه ، وعدم انتقامه لنفسه ، وبعد نظره في الأمور ، وحسن معالجته للنفوس لجلبها إلى الحق .

٦/٧٩ السَّادِسُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِماصاً وَتَرُوحُ بِطاناً » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، مَعْناهُ تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهارِ خِماصاً : أَيْ ضامِرَةَ الْبُطُونِ مِنَ الْجُوعِ ، وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهارِ بِطاناً : أَيْ مُمْتَلِئَةَ الْبُطُونِ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب في التـــوكل على الله) رقم / ٢٣٤٥ / .

لغة الحديث : حق توكلـه : أي تصـــدقون في اعتمادكم على الله تعالى في سائر أحوالكم .

أفاد الحديث : • الحث على التوكل على الله تعالى بصدق ويقين في كل شأن من الشؤون • الأخذ بالأسباب والسعي في طلب الرزق من صدق التوكل على الله تعالى ، كالطير تغدو ولا تقعد عن السعي

٧/٨٠ السَّابِعُ عَنْ أَبِي عُمارَةَ ٱلْبَرَاء بْنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يا فُلانُ ، إذا أَوَيْتَ إلَى فِراشِكَ فَقُلِ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ ، ووَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ ولاَ مَنْجا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ . آمَنْتُ بِكِتابِكَ ٱلَّذِي أَنْزَلْتَ ، وبِنَبِيِّكَ ٱلَّذِي أَرْسَلْتَ . فَإِنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلى ٱلْفِطْرَةِ ، وإنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْراً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وفي رِوايَةٍ في الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ٱلْبَرَاء قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ ٱضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ ٱلْأَيْمَنِ وقُلْ، وذَكَرَ نَحْوَهُ ثُمَّ قالَ : «وٱجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ » .

الحديث أخرجه البخاري في الدعوات (باب ما يقـول إذا نام) و (باب إذا بات طاهراً) و (باب النوم على الشق الأيمن) ، والتوحيد ، ومسلم في الذكر والدعاء (باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) .

لغة الحديث : أويت : انضممت وسكنت . أسلمت نفسي إليك : جعلتها منقادة لك . وجهت وجهي إليك : أقبلت عليك راضياً قانعاً . فوضت أمري إليك : توكلت عليك في جميع شؤوني . ألجأت ظهري إليك : اعتصمت بك وأسندت نفسي إلى حفظك . رغبة ورهبة إليك : طمعاً في ثوابك وخوفاً من عقابك . لا ملجأ ولا منجى : لامنجى ولا مخلص ، والمعنى ليس من يعتمد عليه ويفر إليه من عقابك إلى مغفرتك وعفوك . كتابك : أي القرآن المصدق لجميع الكتب المنزلة . نبيك : محمد ﷺ الخاتم لجميع الرسل . الفطرة : الدين الصحيح والإيمان الكامل ، وأصل الفطرة : الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين الصحيح . مضجعك : فراشك ومكان نومك . شقك : جانبك . نحوه : أي بمعنى الحديث الذي سبق . آخر ما تقول : أي من الدعوات عند النوم .

أفاد الحديث : • تأكيد الإلتجاء إلى الله تعالى في جميع الأحوال • تجديد العهد مع الله عز وجل كل ليلة وتوثيق الإسلام والإيمان قولاً وفعلاً • استحباب قول هذه الجمل قبل النوم ، وجعلها مما يختم به كلامه ذاك اليوم ، لما تنطوي عليه من معاني الإيمان واليقين ، وما تبعث عليه من تحسين الحال مع الله عزوجل . الحث على الوضوء قبل النوم لينام على طهارة كاملة .

٨١ ـ الثَّامِنُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمانَ بْنِ عامِرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ أَبْنِ لُؤَيِّ بْنِ غالِبٍ ٱلْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وهُوَ وأَبُوهُ وأُمُّهُ صَحابَةٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ قالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدامِ ٱلْمُشْرِكِينَ ونَحْنُ في ٱلْغارِ وهُمْ عَلى رُؤُوسِنا ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنا . فَقالَ : « ما ظَنُّكَ يا أَبا بَكْرٍ بِٱثْنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث أخرجه البخاري في التفسير (باب قوله : ثاني اثنين إذ هما في الغار) وفي فضائل الصحابة (باب مناقب المهاجرين وفضلهم) ومسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) .

لغة الحديث : أقدام المشركين : أي الذين يقصون أقدام النبي ﷺ ويلتمسونه لمّا هاجر من مكة إلى المدينة . الغار: المراد به غار ثور . على رؤوسنا : فوقنا .

أفاد الحديث : • وجوب الثقة بالله عز وجل ، والاطمئنان إلى رعايته ، وعنايته بعد بذل الجهد في أخذ الحيطة والحذر • إشفاق أبي بكر رضي الله عنه ، ومدى حبه لرسول الله ﷺ ، وخوفه عليه من الأعداء • عناية الله تعالى بأنبيائه وأوليائه ، ورعايته لهم بالنصر ؛ قال تعالى : (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) • شجاعة النبي ﷺ وتطمينه للقلوب والنفوس .

٩/٨٢ التَّاسِعُ عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ - وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ الْمَخْزُومِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : « بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » . حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُودَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُما بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَهٰذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُودَ .

الحديث رواه الترمذي في الدعوات (باب التعوذ من أن نجهل أو يجهل علينا) رقم/٢٤٢٣/ وأبو داود في الأدب (باب مايقول إذا خرج من بيته) .

لغة الحديث : أضل : أضيع عن الحق فلا أهتدي إليه . أضل :

يضلني غيري . أزل : أتزلق في مهاوي المعاصي والباطل . أجهل : أقع في الخطأ والسفه .

أفاد الحديث : • استحباب هذا الدعاء عند الخروج من البيت ، اقتداء بالنبي ﷺ ، وتحصيلاً لما فيها من خير ، وتذكيراً لنفسه ، كي يجتهد في البعد عن الضلال والزلل والظلم والجهل • الالتجاء إلى الله تعالى والاعتصام به في الحفظ من الانحراف ، أو الخروج عن جادة الحق .

١٠/٨٣ العاشرُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ قالَ - يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : - بِسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ ، ولاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، يُقالُ لَهُ : هُدِيتَ وكُفِيتَ ووُقِيتَ ، وتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطانُ » . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ والنَّسائِيُّ وغَيْرُهُمْ . وقالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ ، زَادَ أَبُو دَاوُدَ : فَيَقُولُ : يَعْنِي الشَّيْطانَ - لِشَيْطانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ ووُقِيَ ؟

الحديث رواه الترمذي في الدعوات (باب ماجاء مايقول إذا خرج من بيته) رقم / ٣٤٢٢ / وأبو دواد في الأدب (باب مايقول إذا خرج من بيته) .

لغة الحديث : لاحول ولا قوة إلا بالله : لاانتقال عن المعصية ، ولا قدرة على فعل الطاعة ، إلا بعون الله تعالى . يقال له : يحتمل أن يكون القائل هو « الله تعالى » ، أو مَلَك يأمره الله عز وجل . وُقيت : حفظت من كل شر . تنحى : مال عن جهته وابتعد عن طريقه .

أفاد الحديث : • فضل التوكل على الله عز وجل ، والالتجاء إليه بالقول والفعل ، وأن ذلك حصن للمؤمن من كل شر • استحباب هذا القول عند الخروج من المنزل ، ليحصل ما فيه من خير .

١١/٨٤ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وكَانَ أَحَدُهُما يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْآخَرُ يَحْتَرِفُ ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : « لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ . « يَحْتَرِفُ » : يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب في التوكل على الله) رقم/ ٢٣٤٦ /.

لغة الحديث : يأتي النبي ﷺ : أي يلازمه ليتلقى من علومه ويتعلم أحكام الدين . فشكا: أي المحترفُ النبي ﷺ أخاه في ترك الاحتراف . ترزق به : أي بسببه .

أفاد الحديث : • أن من انقطع لطب العلم والتفقه في أحكام الدين ، لحفظ شريعة الله ، فإن الله يهيء له من يقوم بشؤونه ويكفيه حاجاته • الترغيب في مساعدة أهل العلم • يُرزق الانسان بسبب من يعيلهم .

٨ - بابُ الاستقامة

قالَ اللهُ تعالَى : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)[1] وقالَ تعالَى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)[2]

---

(١) هود ١١٢ . قال ابن كثير : يأمر تعالى رسوله والمؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة . قال ابن عباس في قوله تعالى : (فاستقم كما أمرت) مانزلت على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ، ولذلك قال ﷺ لأصحابه حين قالوا : قد أسرع إليك الشيب ، فقال : « شيبتني هودٌ وأخواتها » (٢) فصلت ٣٠ – ٣٢ تتنزل عليهم الملائكة : أي

في الدنيا بإلهامهم ، أوعند الموت ، أو حين البعث . أولياؤكم : أي أحباؤكم في الدارين . ماتدّعُون : أي تتمنون . نُزلاً : إكراماً معداً لكم من غفور لذنوبكم ، ورحيم بتفضله عليكم.

وقالَ تعالَى[2] : (إنَّ الذينَ قالُوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، ولاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، أُولَئِكَ أَصحابُ الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها جَزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ)[1].

---

(١) الأحقاف /١٣ - ١٤ . قالوا ربنا الله : آي آمنوا بالله ووحدوه . ثم استقاموا : أي استقاموا على العمل الصالح ، فهم قد جمعوا بين التوحيد والاستقامة في الأمور .

١/٨٥ وعَنْ أَبِي عَمْرٍو - وقِيلَ أَبِي عَمْرَةَ - سُفْيانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحداً غَيْرَكَ . قالَ : « قُلْ : آمَنْتُ باللهِ : ثُمَّ اسْتَقِمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في الإيمان (باب جامع أوصاف الإسلام) . قال النووي : هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام .

أفَادَ الحَدِيثُ : الحديث من جوامع الكلم الذي أوتيه ﷺ ، وهو مطابق لقوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) • الاستقامة هي التزام منهج الإسلام ، قال عمر بن الخطاب رضي عنه : الاستقامة أن تقوم على الأمر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب • دعوى الإيمان لاتكفي مالم يدل على الإيمان العمل ، فإنه ترجمة له وثمرة من ثمراته • الاستقامة درجه عالية تدل على كمال الإيمان وعلو الهمة .

٢/٨٦ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « قارِبُوا وسَدِّدُوا، واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قالُوا: ولَا أَنْتَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ « ولَا أنا إلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وفَضْلٍ » رَوَاهُ مَسْلِمٌ. والْمُقارَبَةُ: الْقَصْدُ الَّذِي لَا غُلُوَّ فِيهِ ولَا تَقْصِيرَ. والسَّدَادُ: الْاسْتِقامَةُ والْإِصابَةُ. ويَتَغَمَّدُنِي يُلْبِسُنِي ويَسْتُرُنِي. قالَ الْعُلَماءُ: مَعْنَى الْاسْتِقامَةِ لُزُومُ طاعَةِ اللهِ تَعالَى؛ قالُوا: وهِيَ مِنْ جَوامِعِ الْكَلِمِ، وهِيَ نِظامُ الْأُمُورِ: وباللهِ التَّوْفِيقُ.

الحديث رواه مسلم في المنافقين (باب لن يدخل أحد الجنة بعمله) .

أفَادَ الحَدِيثُ : • لايثبت بالعقل ثواب ولاعقاب ولا حكم شرعي، وإنما يثبت بالشرع • فضل الله على عباده أوسع من أعمالهم ، ولا يجب على الله شيء • لايستحق أحد الجنة بعمله وحده ما لم تنله رحمة الله ، وقوله تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) ليس استحقاق الجنة لذات العمل ، وإنما هو لوعد الله تعالى بذلك • ليس في استطاعة بشر أن يوفي حق الربوبية ، فإن نعم الله كثيرة ويعجز الإنسان عن شكرها ، قال تعالى : (وإن تعدو نعمة الله لاتحصوها). • الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة ، والفوز بها إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته ومنته • على المؤمن أن يعمل وأن يقرن مع العمل الدعاء ، لنيل رحمة الله وتوفيقه بالجنة .

* * *

٩- باب التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى

وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورها وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قالَ اللهُ تَعالَى : (إنَّما أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا)[1] وقالَ تَعالَى : (إنَّ في خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وقُعُوداً وعَلى جُنُوبِهِمْ ، ويَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ : رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذَا باطِلاً سُبْحانَكَ)[2] الآيات . وقالَ تَعالَى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وإلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وإلَى الجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وإلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ؟ فَذَكِّرْ إنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ)[3]

---

(١) سبأ / ٤٦ . أعظكم : أذكركم . بواحدة : بخصلة واحدة . مثنى : اثنين اثنين . فرادى : واحداً واحداً . ثم تتفكروا : أي في مخلوقات الله ، لتعلموا وحدانيته ، أو في صفات النبي ﷺ وأخلاقه ، لتعلموا أن ليس به جنون ، وإنما هو نبيٌ صادق .

(٢) آل عمران / ١٩٠-١٩١ . لآيات : دلائل واضحة على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته . لأولي الألباب : أصحاب العقول النيرة . باطلاً : عبثاً من غير حكمة . سبحانك : تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الباطل والعبث .

(٣) الغاشية / ١٧ - ٢١ . نصبت : أقيمت منتصبة فهي راسخة لا تميل . سطحت : بسطت ومدت .

وقـــالَ تعالَى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)[1] الآية .
والآياتُ في البابِ كَثِيرَةٌ . ومِنَ ٱلْأَحادِيثِ ٱلْحَدِيثُ ٱلسَّابِقُ « ٱلْكَيِّسُ[2] مَنْ دَانَ نَفْسَهُ » .

---

(١) محمد / ١٠ .
(٢) الكيس : العاقل ، وقد مر الحديث في باب المراقبة رقم ٦٦/٧ .

١٠- بابُ المبادَرَةِ إلى الخيراتِ

وحثِّ من توجَّه لخيرٍ على الإقبالِ عليه بالجدِّ من غيرِ تردُّدٍ

قالَ اللهُ تعالَى[1] : (فَٱسْتَبِقُوا[2] ٱلْخَيْرَاتِ) وقالَ تعالَى[3] : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ).

---

(١) البقرة / ١٤٨ . فاستبقوا الخيرات : سارعوا إليها .
(٢) آل عمران / ١٣٣ . عرضها السموات والأرض : أي كعرض السماوات والأرض ، وهذا على التمثيل والتقريب لا على الحقيقة .

١/٨٧ وأَمَّا ٱلْأَحادِيثُ (فَٱلْأَوَّلُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بادِرُوا بِٱلْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، فَسَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ ٱلْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً ويُمْسِي كافِراً ، ويُمْسِي مُؤْمِناً ويُصْبِحُ كافِراً ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتنة) .

لغة الحديث : بادروا بالأعمال : ابتدوا وسارعوا إليها قبل ظهور العوائق .

فتناً : الفتن جمع فتنة ، ولها في اللغة عدة معان ، منها الامتحان والاختبار والعذاب ، والمقصود بها هنا موانع وذنوب ومحن ومصائب شديدة مظلمة تحول بين المرء وعمل الخير . ويمسي كافراً : يحتمل الكفران بالنعم ، لما يداخله من المعاصي المبعدة من ساحة الشكر ، ويحتمل الكفر الحقيقي . يبيع دينه : يترك دينه . بعَرَضٍ : بمتاع وحطام من الدنيا ، كأن يستحل مال أخيه ، أو يستحل الربا والغش ونحو ذلك من المحرمات .

أفاد الحديث : • وجوب التمسك بالدين ، والمبادرة إلى العمل الصالح قبل أن تحول الموانع والعوائق دونه • الإشارة إلى تتابع الفتن المضلة آخر الزمن ، وكلما انقضت فتنة أعقبتها فتنة أخرى ، وقانا الله تعالى من شرورها .

٢/٨٨ الثَّانِي عَنْ أَبِي سِرْوَعَةَ - بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِهَا - عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ الْعَصْرَ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ . قَالَ : « ذَكَرْتُ شَيْئاً مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ : « كُنْتُ خَلَّفْتُ فِي الْبَيْتِ تِبْراً مِنَ الصَّدَقَةِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ » . التِّبْرُ قِطَعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ .

الحديث رواه البخاري في الأذان (باب من صلى بالناس فذكر حاجة فتخطاهم) .

لغة الحديث : فتخطى : قطع الصفوف حال جلوس الناس . حُجَر : جمع حجرة ، اسم للمنزل . ففزع : خاف ، لأنه خالف عادته ، فإنه من عادته ﷺ أن يمشي الهوينا . يحبسني : أي يشغلني التفكير فيه عن التوجه والإقبال على الله .

أفاد الحديث : • استحباب التخلص مما يشغل القلب عن الله تعالى ، واستحباب المبادرة إلى عمل الخير • جواز الاستنابة والتوكيل في صرف الصدقات مع القدرة على المباشرة .

٣/٨٩ الثَّالِثُ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنا ؟ قالَ : « فِي الْجَنَّةِ » . فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ ثُمَّ قاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحديث رواه البخاري في المغازي (باب غزوة أحد) ومسلم في كتاب الإمارة (باب ثبوت الجنة للشهيد) .

أفاد الحديث : • الحديث كسابقه يفيد المسارعة بفعل الخيرات ، وأن جزاء من قتل في سبيل الله مخلصاً كان له الجنة • استحباب أن يسأل الإنسان عمّا لايعلم .

٤/٩٠ الرَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : جاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ : يا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجراً ؟ قالَ : « أَنْ تَصَّدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وتَأْمُلُ الْغِنَى ، ولاَ تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا ولِفُلاَنٍ كَذَا وقَدْ كانَ لِفُلاَنٍ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . « الْحُلْقُومُ » مَجْرَى النَّفَسِ . و « الْمَرِيءُ » مَجْرَى الطَّعامِ والشَّرَابِ .

الحديث رواه البخاري في الزكاة (باب أي الصدقة أفضل) والوصايا باب الصدقة عند الموت) ومسلم في الزكاة (باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح) .

لغة الحديث : تصدق : أصله تتصدق ، فأدغمت التاء الثانية في الصاد ويجوز تخفيف الصاد على جواز حذف إحدى التاءين . الشح : البخل ، وقيل البخل مع الحرص ، أو أن يكون البخل سجية عند الشخص . تخشى : تخاف تأمل : تطمع . بلغت الحلقوم : أي قاربت الروح بلوغ الحلقوم . قلت لفلان كذا : قيل المراد الإقرار بالحقوق ، وقيل الوصية ، وقيل الوارث . وقد كان لفلان : أي قد صار للموصى له ، أو للوارث فيما زاد على الثلث ، وللوارث بعد ذلك إجازته أو إبطاله .

أفاد الحديث : • أن صدقة الصحة أفضل من صدقة المرض ، لأن الشح غالب على الإنسان في حال الصحة ، فإذا سمح بها وتصدق دل ذلك على صدق نيته وعظيم محبته لله تعالى ، بخلاف من أيس من الصحة ورأى مصير المال لغيره فإن صدقته حينئذ ناقصة • وفي الحديث أيضاً الترغيب في المسارعة إلى الخيرات وأداء الصدقات قبل نزول بوادر الموت بالإنسان .

٥/٩١ الْخَامِسُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ سَيْفاً يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : « مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هٰذَا ؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا أَنَا . قَالَ : « فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ ؟ » فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ ، فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ . اسْمُ أَبِي دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ـ قَوْلُهُ « أَحْجَمَ الْقَوْمُ » : أَي تَوَقَّفُوا . و« فَلَقَ بِهِ » أي شَقَّ « هَامَ الْمُشْرِكِينَ » أي رُؤُوسَهُمْ .

الحديث رواه مسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه) .

لغة الحديث : يأخذه بحقه : أي يقاوم أعداء الله ، ويجاهد به حق الجهاد .

أفاد الحديث : • يدل الحديث على شجاعة أبي دجانة وتضحيته وصدقه في الجهاد، ولا يدل على جبن الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما هم أحجموا عن أخذ السيف خوفاً منهم أن لايستطيعوا الوفاء بشرطه وحقه ، وإنما مدوا أيديهم ليأخذوه أولاً ليقاتلوا به جهدهم من غير شرط • وفي الحديث ترغيب الرسول ﷺ أصحابه على مزيد من التضحية والنكاية بالعدو .

٦/٩٢ السَّادِسُ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قالَ : أَتَيْنا أَنَسَ بْنَ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَشَكَوْنا إِلَيْهِ ما نَلْقى مِنَ الْحَجَّاجِ . فَقالَ : اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لا يَأْتِي زَمانٌ إِلَّا والَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوا رَبَّكُمْ ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ رَوَاهُ الْبُخارِيُّ .

الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن (باب لايأتي زمان إلا الذي بعده شر منه) .

لغة الحديث : تلقوا ربكم : يدركم الموت ، والخطاب لعامة الناس ، وقد يكون المراد قيام الساعة .

أفاد الحديث : • استحباب الصبر على المحن والمبادرة بالأعمال الصالحة • الإخبار بأن ما يأتي من الزمان أشق على الناس مما يمضى • الإشارة إلى انتشار الفساد آخر الزمان .

٧/٩٣ السَّابِعُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : « بادِرُوا بِالْأَعْمالِ سَبْعاً : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنْسِياً ، أَوْ غِنىً مُطْغِياً ، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً ، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً ، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً ،

أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ ، فالسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

الحديث رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب ما جاء في المبادرة بالعمل رقم / ٢٣٠٧ / .

لغة الحديث : مطفياً : يحمل صاحبه على مجاوزة الحد في المعاصي . مفنداً : الفند في الأصل الكذب ، وأفند تكلم بالفند، ومعناه تكلم بالمنحرف من الكلام عن سنن الصحة . مجهزاً : مميتاً بسرعة ، وذلك كموت الفجأة . الدجال : إنسان كافر فاجر يظهر قرب القيامة ، يدعو إلى الكفر ، كان النبي ﷺ يستعيذ منه ، ورد في الحديث أنه يقتله عيسى بن مريم عليه السلام بعد نزوله . الساعة : يوم القيامة . وأدهى : أعظم بلية . أمرّ : أشد مرارة من عذاب الدنيا .

أفاد الحديث : • الإخبار عن الدجال ، وهو من أمارات الساعة • أن عذاب الدنيا أخف من عذاب الآخرة ، وعلى الإنسان أن يبادر إلى الأعمال الصالحة قبل دنو الموانع منها • أن من أهم الشواغل للإنسان عن الخير الفقر الشديد والغنى والمرض والهرم .

٨/٩٤ الثَّامِنْ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : « لَأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ، يَفْتَحُ اللهُ عَلى يَدَيْهِ » قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ما أَحْبَبْتُ الْإِمارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ ، فَتَساوَرْتُ لَها رَجاءَ أَنْ أُدْعَى لَها ، فَدَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَعْطاهُ إِيَّاها وقالَ : « اَمْشِ ولَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ » ، فَسارَ عَلِيٌّ شَيْئاً ثُمَّ وَقَفَ ولَمْ يَلْتَفِتْ فَصَرَخَ : يا رَسُولَ اللهِ ، عَلى ماذا أُقاتِلُ النَّاسَ ؟ قالَ : « قاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا

إِلٰهَ إِلَّا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ . فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِماءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّها . وحِسابُهُمْ عَلى اللهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ : « فَتَساوَرْتُ » هُوَ بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ : أَيْ وَثَبْتُ مُتَطَلِّعاً .

الحديث رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل علي رضي الله عنه) .

لغة الحديث : خيبر : مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع تقع على بعد مئة ميل شمال المدينة جهة الشام . إلا بحقها : فيؤخذ بذلك؛ كالنفس بالنفس، وأداء الزكاة في الأموال .

أفاد الحديث : • محبة الله ورسوله إنما تكون بالإيمان بهما ، واتباع ماأمرا به • معجزة الرسول ﷺ حيث أخبر عن مغيَّب فكان كما أخبر، وهو فتح خيبر • الحث على الإقدام والمبادرة إلى ماأمر به الرسول ﷺ • لايجوز قتل من نطق بالشهادتين إلا إذا ظهر منه ما يستوجب القتل، كالقتل عمداً ، أو إنكار شيء من الدين يقتضي الكفر والردة • تجري أحكام الإسلام على ما يظهر من الناس والله يتولى سرائرهم • الزكاة تؤخذ قسراً إن لم يؤدها صاحبها عن طواعية .

١١- بَابُ الْمُجَاهَدَةِ

قالَ اللهُ تَعالَى : (والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا ، وإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[1]

---

(١) العنكبوت / ٦٩ . جاهدوا فينا : أي بذلوا جهدهم في مقاومة النفس والشيطان والهوى وأعداء الدين من أجل الله تعالى . سبلنا : أي طرق السير إلى الله والوصول إلى جنانه تعالى ، وذلك بالطاعات والمجاهدات . وإن الله لمع المحسنين : أي بالتوفيق والتأييد .